كتاب

كشف اللثام

عن وجه

التورية والاستخدام

للعالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ تقي الدين
ابي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي
المتوفى سنة ٨٣٧ رحمة الله تعالى عليه

طبع في بيروت بالمطبعة الانسية سنة ١٣١٢ هجرية

كتاب

كشف اللثام

عن وجه

التورية والاستخدام

للعالم العلامة فريد دهره ووحيد عصره الشيخ تقيّ الدين
ابي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي
المتوفى سنة ٨٣٧ رحمة الله تعالى عليه

طبع في بيروت بالمطبعة الانسية سنة ١٣١٢ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارشدنا الى كشف اللثام * عن وجه التورية والاستخدام * وابرز وجهها مقمرًا وكان في غيوم الاشكال قد تحجب * ومتع به من الاعراض عن خدمة الالفاظ فقام بما يجب عليه من خدمة المعاني وتأدب * ونفذ احكام القاضي الفاضل لمّا حكم بموجبها * واظهر نور ابن سنا الملك في ظلمات تحجبها * ووقد فيها لمع السراج فاطال لسانه وصار بها عالي المنار * وشرح بها صدر الحمامي واطاب تقطيف الجزار * واصال عصا ابن النقيب فادّب بها جماعة وضرب بها المثلْ * وقال ابن دانيال الكاحل وقد غازلته عيونها ليس التكحل في العينين كالكحل * وصار لابن عبد الظاهر في الايام الظاهرية بها قوة وسلطان * وظفر شيخ الشيوخ من زواياها بخبايا اظهر بها البرهان * واستخدمها الامير ابن تميم وعرضها فالقلوب لها اجناد مجنده * واظهر ابن لؤلؤ في عقودها نظاما امست به منظمة ومنضده * واحيى محيي الدين ابن قرناص مادرس منها وضوع فيها بعد الطي نشرا * وتناول المشد عصا ابن النقيب والقاها فتلقفت سحرا * وقال ابن العفيف لابن قلاقس انت هنا غير ناضج * وكذلك ابن النبيه سقى شمسا على قمرية وكان لشرب الورية غير ممازج * نحمده على ان قدح زناد افكارنا فاورى في التورية التي ظهر منها لمع السراج * وصار لعيون الذوق عند رؤية محاسنها اختلاج * ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك لهُ شهادة نزداد بها ادبا * ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي ادبه ربه وجعل لمراسلاته في الخلق نبا * صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين تأدبوا بآدابه * وفهموا معاني الادب وبيانه من بديع

كتابه * وسلم تسليما

(وبعد) فاني ما نسجت هذه الديباجة على منوال التورية الذي ما نسج الحريري عليه * الا لامر اذا شنفت بدرّه المسامع يتعين الاصغاء اليه * وهو اني رأيت الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله قد وضع في هذا الفن كتابا سمّاهُ فضّ الختام * عن التورية والاستخدام * ولما طالعته ورأيت مسك ختامه لم يتضوع منه رائحه * بل اضاعه من غير تورية وترك آرام معانيه مع غير سربها سارحه * واورد فيه نبذة من مقاطيعه ليس لها بالمراد وصلة * فانه ذكر التورية وما جسر ان يلحق مفردا من المقاطيع بتلك الجمله * هذا وعرائس الانواع تتوارى عنه بالحجاب * وكم خطب وشرع في الكتاب ولم يثبت كفاءة في الكتاب

وكل يدعون وصال ليلى * وليلى لا تقر لهم بذاكا

ومما يدل على ان وجه التورية عنه في غاية الاحتجاب قوله في براعة هذا المصنف الذي سمّاه فضّ الختام الحمد لله الذي جملني بلباس الآداب ووجدته قد صدّر كتابه باشتقاق التورية واختلاف البلغاء في تسميتها والمراد من التورية غير ذلك ثم استطرد الى التضمين الذي هو غير مطلوب هنا هذا واستوعب في ذلك جانبًا كبيرًا من كتابه وتقدم قولي ايضًا انهُ ذكر انواع التورية واقسامها واوصل من مقاطيعه ما يقارب ثلث مصنفه ولم يجسر ان يسِمَ مقطوعًا بنوع من انواع التورية ولا بقسم من اقسامها ولم يزد على قوله (قلت) والتورية اربعة انواع وهي المجردة والمبنية والمرشحة والمهيأة ويأتي الكلام على اقسامها في مواضعه وقد تقرر ان الشيخ صلاح الدين الصفدي ما اشار في مقاطيعه الى نوع من الانواع ولم يبن كتابه على غير ما ذكرت ومن هنا اشرع فيما بنيت عليه هذا الكتاب الذي وسمته (بكشف اللثام (عن وجه) التورية والاستخدام) واول ما ابدأ بحدود التورية التي هي عمدة الطالب في هذا الباب ثم اورد بعد ذلك ما وقع فيها للعرب والفحول واذا انتهت الغاية الى طلاوة المتأخرين واوردت لهم محاسن تلك الطلاوة * وما ظهر في قطرهم

النباتي من تلك الحلاوه * شرعت في الكلام على انواع التورية واقسامها ليسير لركب الآداب في طريقها المتشعبة بدليل * و يصير لديباج هذا البزّ المنوع تفصيل * وجردت سيف العزم واقمت لكل نوع حدًّا * ونظمت من انواع التورية واقسامها في هذا السلك عِقدًا * فان فقه التورية على غالب الناس بمعزل * ولكن لوافدها في رحاب هذا المصنف خير منزل * فانها من اعلى فنون البديع واغلاها رتبة واعظمها في الاذواق السليمة موقعا ولكن رأيت جماعة من القاصرين قد عدلوا عنها الى الجناس وهو سافل بالنسبة الى علو مقامها في البديع والجناس غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله من اهل الادب وكذلك اشتقاق الالفاظ فان كلاًّ منها يؤدي الى العقادة والتقييد عن اطلاق اعنّة البلاغة في مضمار المعاني المبتكرة كقول القائل واستحي ان اقول ابو الطيب المتنبي حيث يقول

فقلقلت بالهمّ الذي قلقل الحشا   قلاقل عيش كلّهنّ قلاقل

ولقد تصفحت ديوانه فلم اجد لوافد هذا النوع نزولا الا فيما قلّ من ابياته ولا العرب من قبله خيمت بابياتها عليهِ غير ان هذا البيت حكمت على ابي الطيب بهِ المقادير ومنه قول القائل

وقبر حرب بمكان قفر   وليس قرب قبر حرب قبر

فتهافته على قرب وقبر لاجل الجناس المقلوب هو الذي قلب عليه القلوب اللهمّ الاّ أن يقع الجناس في حشو بيت من البحور الذي يحمد نقله من غير اعتناء بأمره كقول القائل

لله لبنى كلما لبنا على   تعنيفها ونهودها تتعاقد

و بنار اسما وهي اسما رتبة   لقد احترقْتُ وريقها يتبارد

ففي طلعة شموس التورية هنا ما يغني عن زحل الجناس ولقد احسن من قال

انظر الى سور الالفاظ واحدة   وانما بالمعاني تعشق الصور

والجناس من سُور سور الالفاظ وقال علامة عصره الشهاب محمود الجناس

يحسن اذا قلّ في الكلام وأتى عفوًا من غير كدّ وميل ولا يكون كقول الاعشى

سلت وسالت ثم سال سليلها　　　فاتى سليل سليلها مسلولا

ولا بأس في طالع القصائد ان تعذر على الناظم ان يركبه تورية جناس فانه نوع متوسط بالنسبة الى ما فوقه من انواع البديع كالتورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه وما قارب ذلك وحكى ابن جنى عن الاصمعي انه كان يدفع قول العامّة اذا قالوا هذا يجانس هذا اذا كان من شكله ويقول هذا ليس بعربي خالص وقال ابن رشيق صاحب العمدة الجناس من انواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك في تكليفه وقد كثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون في نظمهم ونثرهم حتى برد ورك انتهى قول ابن رشيق قلت ولم يجنح اليه ولا يكثر استعماله الا من قصرت همته عن اختراع المعاني التي هي كالنجوم الزواهر في افق الالفاظ واذا خلت بيوت الالفاظ من سكان المعاني تنزل منزلة الاطلال البالية ويعجبني قول الفاضل هنا

انما الدار قبل بالسكان　　　ثم بعد السكان بالجيران

فاذا ما الارواح شردها الحتـ　　　ـف فماذا يراد بالابدان

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدي يستسمن ورم الجناس ويظنه شحماً فيشبع افكاره منه ويملأ بطون دفاتره ويأتي فيه بتراكيب تخف عندها صخور الجبال كقوله

ونم في امان بالحبيب ولا تخف　　　لقائط واش في اقفاء طواشي

وقوله

وكم شاهد الظلماء والليل شاهد　　　رواحل واط في الرواح لواطي

وقوله

وليس اذا كان الفراق معاندي　　　مطالع نساء في مطال عناء

وقوله في الخمرة

وكم البست نفس الفتى بعد نورها　　　مدارع قاد في مدار عقاد

وقوله

اذا خرج العشاق قالوا اقمت في   مدارج راح في مدار جراح

وقوله

وكم شمت لما قستُ مقدار وذكم   بوارق ياس في بوار قياس

وقوله

ولا تمحن باب الهدايا وعدها   مطار فراش لا مطارف راش

وقوله

ثنت نحوه الاغصانُ قامات لينها   طواعن شاطٍ في طواع نشاط

وقوله

ومرّ على غيري سقام وصحة   ولم يرقان مثل ذا يرقاني

وقوله

فجاد واجرى ثم جاور واجترى   فما فاتــه مّما يروم جناس

رأيت بخط الشيخ بدر الدين البشتكي على هذا البيت والذي قبله هو الضعيف بالريقان وإن من مبلغه ذلك من النظم لجديران يقعد مع صغار المتأدبين ومثله قوله

زاروا وزانوا وزادوا   هذا الجناس المليح

قلت لقد تنازل الشيخ صلاح الدين بركّة قوله هذا الجناس المليح الى الحضيض ولولا خشية الاطالة وسأم الاستماع لاوردت له كثيرًا من هذا النمط الذي يؤدى ناظمه الى قلّة الادب ومن اظرف ماوقع للشيخ جمال الدين ابن نباتة معه بسبب هذا الهذيان انه لما وقف على كتابه المسمى بجنان الجناس فضبطه جنا الخناس فجرى بينهما بسبب ذلك ما يطول شرحه ويعجبني قول الشيخ زين الدين ابن الوردي فيما نحن فيه

اذا احببت نظم الشعر فاختر   لنظمك كل سهل ذى امتناع

ولا تقصد مجانسة ومكن قوافيه وكِلْهُ الى الطباع

وكان اسعد ابن مماتي ممن يذم نظم الجناس ويكرهه ومن قوله في ذلك

طبع الجنس فيه نوع قيادة اوما ترى تأليفه للاحرف

ومن اغرب ما يحكى وينقل ان الشيخ صلاح الدين الصفدي مع شدة تهافته على نظم الجناس زاحم ابن مماتي في لفظه ومعانيه وقال

الا ان من عاني القريض بطبعه يقود فأرسله لمن صدّ واحتشم

الم تره ان قال شعراً مجانساً يؤلف ما بين الحروف اذا نظم

فانظر ايها المتأمل كيف اخذ المعنى واللفظ ولم يتمكن من النظم الا في بيتين اتى فيهما بكثرة الحشو مع قلة الادب على أهله فان الاسعد أثبت القيادة لطبع الجنس والشيخ صلاح الدين أعزه الله أثبت الحكم المذكور لكل من نظم الشعر انتهى قلت ولم ابسط الكلام هنا الا ليعلم المتأدب رتبة التورية وسموّها في البديع وهبوط الجناس عن علوّ محلها الرفيع فانهُ نوع لفظي لا معنوي والفرقة التي نسجت على منوالها لم ترض بالجناس اذا امكن اشتراك التورية من ركنيه لعلمهم بعلوّ رتبتها والتفات الاذواق السليمة الى حسن موقعها وها انا اظهر نور هذا الفرق وهو مثل الصبح ظاهر فاقول الجناس التام هو ما تماثل ركناه واتفقا لفظاً واختلفا معنى من غير تفاوت في صحيح تركيبهما واختلاف في حركاتهما فاذا جعلته تورية انحصر المعنيان في ركن واحد وخلصت من تكليف الجناس وانتقلت من رخيصه الى غالي التورية وحركت جامد الاذواق وابتهجت خاطر السامع بما أتحفته من بديع تركيبها وآنسته بما أهلته من غريبها والشاهد على ذلك ناظم الجناس التام

القلب مني صب والدمع مني صب

فجاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة وحصر المعنيين في ركن واحد وقال

دمعي عليك مجانس قلبي فانظر الى الحالين للنصب

فذكر التجانس هنا هو احد لازم التورية والدمع هو اللازم الآخر وقد نبه الشيخ

جمال الدين على انه لم يرض بالجناس لقوله على الحالين وهنا يحسن ان يتمثل بقول القائل

ومن يقل للمسك ابن الشذا　　كذبه في الحال من شمّا

ومن ذلك قول القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر ملغزًا في كوز واجاد

وذي اذن بلا سمع　　لـهُ قلب بلا قلب
اذا استولى على حب　　فقل ما شئت في الصب

وقال ناظم الجناس المركب وحده ان يكون احد ركنيه كلمة مفردة والآخر مركبًا من كلمتين

أعن العقيق سألت برقا اومضا　　اآقام حادٍ بالركائب أو مضى

فجاء ناظم التورية وحصر المعنيين في ركن واحد وقال

واذا تبسم انني لم التفت　　ان غار برق في الدجى أوْ اومضا

ومثله قول صاحب التورية

نديمي لا تسقني　　سوى الصرف فهو المنى
ودع كأسها أطلسا　　ولا تسقني مع دنى

وقال شمس الدين المزني واجاد

ومليح يحكيه لألاء حسنا　　فهو كالبدر في الدجى يتلالا
قلت قصدي من الانام مليح　　هكذا هكذا والاّ فلالا

وقال ناظم الجناس الملفق وحده أن يكون كل من الركنين مركبًا من كلمتين

خبروها بانهُ ما تصدى　　لسلوٍّ عنها ولو مات صدا

فحصرت المعنيين في ركن واحد وقلت

تصديتم لهجر ضعيف جسمٍ　　فذاب من الغرام وماتصدا . ومات صد
وعدّ ضلوعه بالسقم لما　　تعديتم عليهِ ومات عدا . ومـا تعدا

ويعجبني هنا قول الصاحب فخر الدين ابن مكانس رحمه الله

ان الهوائن يا معشوق قد عبثا بالروح والجسم في سرٍّ وفي علن
فالروح تنديك بالممدود قد تلفت والجسم حوشيت بالمقصور فيك فني . في كفني

ومن نظمي في هذا النوع الغريب قولي

رأت حياة شبابي قد قضت اجلا والسقم قد زاد حتى قلّ مصطبري
قالت سرقت نحول الخصر قلت لها ما يحمل الشيخ هذا وهو فيك بري . في كبري

وقال ناظم الجناس اللفظي وهو ما تماثل ركناه وتجانسا خطا بابدال حرف فيه مناسبة لفظية قوله

فضح الرياض بورد خدٍّ ناضر وجنى عليّ وقد جناهُ ناظري

فحصرت المعنيين في لفظٍ واحد وقلت

خاطرت في عذلي له يا مهجتي لا تشغلي قلبي الحزين وخاطرى
فالطرف شاهد منه ناظر خدّهِ وغدا يهيم بكل غصنٍ ناضرى

ومنه قولي

مرج حماة بنواعيره زاد على المقياس في روضته
واغتاظ نور دمشق لذا والله لا افكر في غيظته

ومثله قول شمس الدين محمد ابن العفيف

عنم على المحبوب حمرة شعره واظنكم بدليله لا تشعروا
لا تنكروا ما احمر منه فانه بدماء ارباب الغرام مظفرُ

وقد آن أن أحبس عنان القلم عن هذا الاستطراد فان سيف التورية قد سلّ من غمده ٭ وطالبني باقامة حدّه فاقول التورية ويقال لها الايهام والتوجيه والتخييل والتورية اولى في التسمية لانها مصدر وريْت الخبر تورية اذا سترته واظهرت غيره كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر وهي في الاصطلاح ان يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد فتذكر لفظًا يوهم القريب الى ان يجيء بقرينة يظهر منها ان مراده البعيد (قلت) ومن ابن يعرف الطالب من هذا

الحدّ التورية المجردة والتورية المبنية ونسميها والتورية المرشحة ونسميها المهيأة واقسامها وكذلك العلامة زكي الدين ابن ابي الاصبع لم يذكر في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعًا من انواعها ولا قسمًا من اقسامها مع ان كتابه ما وضع لهُ في هذا الفن نظير بل قال التورية وتسمى التوجيه وهي ان تكون الكلمة متضمنة معنيين فيستعمل المتكلم احدى احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما اهملهُ لا ما استعملهُ واما صاحب التلخيص فانهُ قال مشيرًا الى فن البديع ومنهُ التورية ويسمى الايهام ايضًا وهو ان يطلق لفظ لهُ معنيان قريب وبعيد وهي ضربان مجردة ومرشحة ولم يزد على هذا القدر شيئًا وقد تقدم القول وتقرر ان الكلام على حدود انواعها المختلفة واقسامها يكون مسكًا لختامها ان شاء الله تعالى وكان التصدير بهِ واجبًا في ديباجة هذا الكتاب ولكن ما اوردتهُ يكون لمستجلي محاسنها كالحجاب والذي تقرر من هذه الحدود المذكورة ان اشتراك التورية بين معنيين احدهما قريب ودلالة اللفظ عليهِ ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليهِ خفية فيريد المتكلم البعيد ويورّى عنهُ بالقريب فيتوهم السامع اول وهلة انهُ يريد القريب وليس كذلك ولاجل هذا سمّي هذا النوع ايهامًا ومثل ذلك قول ابي العلاء المعري

وحرفٍ كنون تحت راء ولم يكن ... بدالٍ يؤم الرسم غيّرهُ النقط

فمن سمع هذا البيت توهم انهُ يريد براء ودال حرف الهجاء لانهُ صدّر بيته بذكر الحرف واتبع ذلك بالرسم والنقط هذا هنا هو المعنى القريب الذي يتبادر ذهن السامع أوّلًا اليهِ والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورّى عنهُ بالقريب لانهُ مراده بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيه الناقة في تقويسها وضمورها و براء اسم فاعل من رأى اذا ضرب الرئة و بدال اسم الفاعل من دَلَا يدلو اذا ارفق في السير و بالرسم اثر الدال و بالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتها ولم يرفق بها في سيره ذلك وقد تقرر ان الدالي هو الذي يرفق في السير وهذا الركب يؤم بهذه الناقة دارًا غيّر المطر رسمها انتهى

ولكن قالت حذّاق الادب تراكب التورية في هذا البيت بالنسبة الى ديباجة المتأخرين وزخارف بيوتهم تستحق قول القائل

وما مثلهُ الا كفارغ حمص خلي من المعنى ولكن يفرقعُ

لان هذا النوع اعني التورية ما تنبه لمحاسنه الا من تأخر من حذّاق الشعراء واعيانهم ولعمري انهم بذلوا الطاقة حتى دخلوا الى بيوت التورية من باب وما ابرز شمسها نقية من غيوم النقد الا كل ضامر مهزول * وما احرز قصبات سبقها غير الفحول * وقد بالغ الشيخ صلاح الدين في ذلك قبلي بقوله في كتابه المسمى بفضّ الختام ومن البديع ما هو نادر الوقوع * ملحق بالمستحيل الممنوع * وهو نوع التورية والاستخدام فانهُ نوع تقف الافهام حسرى دون غايته عن مرامي المرام * لا يفرع هضبته فارع * ولا يقرع بابه قارع * الا من نحو البلاغة نحوه في الخطاب * وتجري ريحها بامره رخاء حيث اصاب * انتهى قول الشيخ صلاح الدين وقال الزمخشري وهو حجة في هذا العلم ولا نرى بابًا في البيان ادق ولا الطف من هذا الباب يعني التورية ولا انفع ولا اعون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى وكلام نبيه صلى الله عليهِ وسلم وكلام الصحابة رضي الله عنهم فمن ذلك قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين احدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورّى بهِ الذي هو غير المقصود لانهُ سبحانهُ وتعالى وتقدس منزّه عن ذلك والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود المورّى عنهُ بالقريب المذكور انتهى ومنهُ قول النبي صلى الله عليهِ وسلم حين سئل عن مجيئه الى بدر فقيل لهم ممن انتم فلم يرد النبي صلى الله عليهِ وسلم ان يعلم السائل فقال ما اراد صلى الله عليهِ وسلم انـا مخلوق من ماء يورّى عنهُ بقبيلة يقال لها ماء ومنهُ ما روي عن النبي صلى الله عليهِ وسلم انهُ قال لا يزال المنام طائرًا حتى يقص فاذا قص وقع ففي الكلام توريتان وهما لفظة طائر ولفظة يقص ايضًا ويمكن ان يكون في لفظة وقع تورية ثالثة ومنهُ قول الامام ابي بكر رضي الله عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليهِ وسلم

من هذا فقال هَادٍ يهديني اراد ابوبكر رضى الله عنه هاديًا يهديني الى الاسلام فورّى عنهُ بهادي الطريق وهو الدليل في السفر انتهى (قلت) وقد علم ان خواطر المتقدمين كانت عن نظم التورية بمعزل وافكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل لكنهم ربما وقعت لهم عفوًا من غير قصد لانهم على كل حال ولاة هذا الشان وقيل ان اول من كشف غطاءها ابو الطيب المتنبي في قوله

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلّات يصطحبان

كأن رقاب الناس قالت لسيفهِ رفيقك قيسيّ وانت يماني

يريد ان كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان لأن شبيبًا كان قيسيًّا والسيف يقال لهُ يماني فورّى بهِ عن الرجل المنسوب الى يمن ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر قلت وكل من قال ان ابا الطيب اول من كشف غطاء التورية ما لمح قول عمرابن كلثوم في معلقته عن الخمرة قوله

مشعشعة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

الشاهد هنا في سخينا فان العرب كانوا يسخنون الماء في الشتاء لشدة برده ثم يمزجونها بهِ فسخينا على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف والمعنى اصبناها شرابًا سخينا وهذا هو المعنى القريب المورّى بهِ ويحتمل السخاء الذي هو عبارة عن الكرم وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنهُ ومراد الناظم ومما يؤيد قولي ان المراد هنا قول الجوهري في الصحاح كلام من قال سخينا من السخونة نصب على الحال ليس بشيء وقلت ومراد الناظم ان الماء لما خالط الخمرة ومزجت بهِ طبنا وسخينا باموالنا كقول عنترة

واذا سكرت فانني مستهلك مالي وعرضي وافرٌ لم يكلم

والحص هو الزعفران في احد الاقوال وهذا الذي شبه الناظم صفرتها بهِ عند المزج فان قيل سخا مضارعه يسخو ويسخو من ذوات الواو فلا يجوز ان يقال سخينا فعلى هذا التقدير فالاجماع عند اهل اللغة ان يقال سخي يسخى وسخا يسخو وهذا مذهب

الجوهري في الصحاح على هذا التقدير فاشتراك التورية في بحثنا صحيح ممكن من الوجهين انتهى (قلت) وكشف ايضاً عن قناع التورية في شعر النابغة الذبياني بقوله

خيل صيام وخيل غير صائمة   تحت العجاج واخرى تعلك اللجما

اراد بالصيام هنا القيام وورّى بقوله تعلك اللجما عن الصيام المعهود واورد السكاكي للعرب في هذا الباب

حملناهم طرا على الدهم بعدما   خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

اراد بالحمل على الدهم تقييدهم واوهم بالركوب دهم الخيل (قلت) وقبل المتنبي بزمن طويل قال ابو نواس رحمة الله تعالى

فتنت قلبي محببة   وجهها بالحسن منتقب

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي امتحنت ببيت ابي نواس جماعة ممن حاضرتهم وذاكرتهم وعاطيتهم كؤوس الادب وعاشرتهم فبعضهم استخرج منه النكتة وبعضهم لم اجد له اليها لفتة انتهى (قلت) ومن نظم البحتري في هذا الباب قوله

ووراء تسديه الوشاح مليئة   بالحسن تملح في القلوب وتعذبُ

الشاهد هنا في قوله تملح فانه محتمل ان يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهو المعنى البعيد المورّى عنه او من الملاحة التي هي الحسن وهو المعنى القريب المورّى به وقد تقدم من لوازمه على جهة البيتين قوله مليئة بالحسن انتهى واما ابو العلاء المعري فانه اتى في التورية بلمع خفية الايماء شديدة العقادة والتكليف كما تقدم وكقوله عفي عنه

حروف سراجات لمعنى اردته   برتني اسماء لهنّ وافعال
اذا صدق الجد افترى العم للفتى   مكارم لا تحصى وان كذب الخال

الجد هنا مشترك بين ابو الاب والسعد ومراده السعد والعم مشترك بين اخو الاب والجماعة من الناس ومراده الجماعة والخال مشترك بين اخ الام والظن ومراده الظن قلت وزخرف هذا البيت لا يخفى انه مكسوف بدخان العقادة اين هذا من قول

الشيخ تقي الدين السروجي عفى عنهُ

في جانب الايمن من خدها نقطة مسك اشتهي شمها
حسبتهُ لما بدا خالها وجدتهُ من حسنه عمها

وقول الشيخ عز الدين الموصلي رحمهُ الله تعالى

لحظت في وجنتها شامة فابتسمت تعجب من حالي
قالت قفوا واستمعوا ما جرى قد هام عمي الشيخ في خالي

قلت ولهذا وقع الاجماع ان المتأخرين هم الذين سموا الى افق التورية واطلعوا شموسها * ومازجوا اهل الذوق السليم لما اداروا كؤوسها * وقيل ان القاضي الفاضل هو الذي عصر سلاف راح التورية لاهل عصره * وتقدم على المتقدمين بما اودع فيها من نظمه ونثره * فانهُ رحمه الله كشف بعد طول التحجب ستر حجابها * وانزل الناس بعد تمهيده في ساحتها ورحابها * وممن شرب من سلافة عصره * واخذ عنهُ وانتظم في سلكه بفرائد درّه * القاضي السعيد ابن سنا الملك ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كأسها * ومتمسكين بطيب انفاسها * حتى جاء بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها * والواسطة بعقود جمانها * كالسراج الوراق وابي الحسين الجزار والنصير الحمامي وناصر الدين النقيب والحكيم شمس الدين ابن دانيال والقاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في مصنفه اعني فضّ الختام عن التورية والاستخدام وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم * وتآزر نصرهم * كل ناظم تودُّ الشِعرى ان تكون لهُ شعرا * ويتمنى الصبح لو كان لهُ طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا * ما جلا من نبات فكره خودا الا شاب لحسنها الوليد * وسيرها في الآفاق وبين يديها النجوم جواري ومن الشعراء عبيد * كالشيخ شرف الدين ابن عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة المحروسة والامير مجد الدين بن تميم و بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي ومحيي الدين ابن قرناص الحموي وشمس الدين بن العفيف وسيف الدين ابن المشد وقال الشيخ صلاح

الدين بعد ذكر الجماعة ولا نقل ايها الواقف على هذا التأليف لقد افرطت في التعصب لاهل مصر والشام*على من دونهم من الانام*وهذا باطل دعوى وعدوان وحمية لاوطانك ومن جاورها من البلدان* فالجواب ان الكلام في التورية لاغير ومن هنا تنقطع المادّة فيّ ومن ادعى انه يأتي بدليل وبرهان*فالمقياس بيننا والسقرا والميدان*انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدي (قلت) قد تقدم ونقرر ان خواطر المتقدمين كانت بالتورية شحيحة*وافكارهم لا تقصد مظانها وان كانت سليمة صحيحة* لكنه ربما وقعت لهم عفوًا من غير مرام* فنقول انها رمية من غير رام*وقد علم ان المتأخرين من الفاضل الى من فضل بعده هم نور مشكاتها*والمتفكهون في دوحة الادب بثمراتها* فاذا جليت عرائس افكارهم لايملّ المتأمل اللهمّ الا ان يكون سيف ذهنه عن هذا الفنّ منتصّل *فان هذه العرائس لن تبرز لمتأمل الا من خدور هذا الكتاب*وان طلبها من غيره توارت عنه بالحجاب*فمن مخترعات القاضي الفاضل في التورية وهي نكتة لم تختلج في صدر غيره قوله في مديح من قصيدة طائية

اما الثريا فنعل تحت اخمصه　　　وكل قافية قالت لذلك طا

ومن قوله

في خده فخ لعطفة صدغه　　　والخال حبته وقلبي الطائر

ومنه قوله

وكنت وكنا والزمان مساعدي　　　فصرت وصرنا وهو غير مساعدى
وزاحمني في ورد خدّك شارب　　　ونفسيَ تأبى شركها في الموارد

ومن هنا اخذ الشيخ عز الدين الموصلي فقال

لقد كنت لي وحدي ووجهك قبلتي　　　وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدّك عارض　　　وزاحمني في ورد ثغرك شارب

ومن مخترعات الفاضل في التورية

عاتبته فتضرجت وجناته　　　والقلب صخر لا يلين لقاصد

فنظرت من ذى في حريرٍ ناعمٍ   وضربت من ذا في حديدٍ باردِ

ومنهُ قوله

بالله قل للنهل عني انني   لم اشف من ماء الفرات غايلا
يا قلب كم خالفت ثم ببينه   واظن صبرك ان يكون جميلا

ومن نثره في هذا الباب في يوم شديد المطر والخادم في رأس جبل يتلقى الرحمة غضّة قبل ان يبتذلها الناس * ويصافح الرياح عاصفة قبل ان تقسمها الانفاس * ويتلقى الرعد بالرعده* واذا السماء انشقت استصحاها العبد بالسجده* انتهى وقد تقدم القول ان الذي اخذ عن القاضي الفاضل القاضي السعيد ابن سنا الملك فمن بديع نظمه في باب التورية قوله

اما والله لولا خوف سخطك   لهان عليّ ما القى برهطك
ملكت الخافقين فهمت عجبًا   وليس هما سوى قلبي وقرطك

ومنهُ قوله

وفي الحي من صيّرتها نصب ناظري   فما اذنت في نازل الشوق بالرفعِ
تتيه بفرعٍ منهُ اصل بليتي   ولم ارَ اصلاً قط يعزي الى فرعِ

ومنهُ قوله واجاد بقوله

وفي القلب تصديع وفي الوصل جبره   وفي الخد دينار وفي الجفن كسره

هذا الدينار اخذه القاضي محيي الدين ابن عبد الظاهر بغير استحقاق وسبكه في القالب الاول بقوله

انت من خدٍّ ولحظ   لك دينار وكسر

واخذه الشيخ جمال الدين ابن نباتة ولم يسبكه في غير القالب الاول بقوله

افدي حبيبًا لي الى   مرآه طول الدهر فقر
في خده وجفونه   للحسن دينار وكسر

ونطفل المعمار على هذا الدينار فلم يصل منهُ الى غير الكسور بقوله

ومليح قال صف حسـ * ني لازداد سرورا * كم حوى جفني معنى * قلت الفا وكسورا
ولم يزل ابن سنا الملك في باب التورية يتلاعب باختراعاته * و يسكنها في العامر من ابياته * الى ان ظهر بعده السراج فجلا غياهبها بنور مشكاته * وتعاصر هو وابو الحسين الجزار والنصير الحمامي وتطارحوا كثيرًا وساعدتهم صنائعهم والقابهم في نظم التورية حتى انهُ قيل للسراج الورّاق لولا لقبك وصناعتك لذهب نصف شعرك ثمنهُ قوله

شعريتي مذ رمدت قد حبست   طرفيَ عنكم فصرت محبوسا
الحمد لله زادني شرفـا   كنت سراجا فصرت فانوسا

وكتب الى من أبيات فيمن تلقب بالضيا واجاد

آمولانا ضياء الدين جد لي   وعِشْ فبقاء مولانا بقائي
ولولا انت ما اغنيت شيئًا   وهل يغني السراج بلا ضياء

ومنهُ قوله

وكنت حبيبًا الى الغانيات   فاكسبني الشيب هجر الحبيب
وكنت سراجًا بليل الشباب   فاطفأ نوري نهار المشيب

وكتب الى بعض الروساء

بكتبك راج لي املي وقصدي   وفي يدك النجاح لكل راجي
ولولا انت لم يرفع مناري   ولا عرف الورى قدر السراج

ومنهُ قوله يتقاضى شمعا

ما علينا ضوء وقد ابطأ الشمـ   ـع فقوض بنا خيام الدياجي
وتدارك بيتًا عليهِ ظلام   لم تَبِنْ فيهِ لمعة للسراج

وقال وقد اجتمع شمس ابن ايبلبك و بدر الدين ابن اقسنقر

لما رأيت الشمس والبدر معًا   قد انجلت دونهما الدياجي
حقرت نفسي ومضيت هاربًا   وقلت ماذا موضع السراج

وقال يثني على ولده

بنيّ اقتدى بالكتاب العزيز وراح ليرى سعيا ولاجا
فما قال لي أُفٍّ مذ كان لي لكوني ابًا ولكوني سراجا

ومنهُ قوله

اقول في يوم شتاء لهُ من سحبه ما خالق النيلا
خرجت من بيتي سراجًا وقد عدت بحمد الله قنديلا

ومنهُ قوله واجاد

الهي لقد جاوزت سبعين حجة فشكرًا لنعماك التي لم تكفرْ
وعمرت في الاسلام وازددت بهجة ونورًا كذا يبدو السراج المعمرْ

ومن لطائفه ما وقع لهُ في هذا الباب قوله

كم قطع الجود من لسان قلد في نظمه النحورا
وها انا شاعر سراج فاقطع لساني ازدك نورا

ومنهُ قوله

اثنى عليَّ الانام انّي لم اهجُ خلقًا ولا هجاني
فقلت لا خير في سراج ان لم يكن دافيَ اللسان

ومنهُ قوله

اذا بحت بالشكوى عتبت معاشرا فلا راحة في مدحهم انعبول ذهني
يريدونني رطب اللسان ومن رأى سراجًا غدا رطب اللسان بلا دهنِ

وكتب الى الشيخ نصير الدين الحمامي وهو مقيم بالروضة

كم قد ترددت بالباب الكريم لكي ابلّ شوقي واحيي ميْتَ اشعاري
وانثني خائبًا فيما اؤمله وانت في روضة والقلب في نارِ

فكتب الى السراج

الآن نزهتني في روضةٍ عبقت انفاسها بين ازهار واثمارِ

فلا نغالط فمن فينا السراج ومن اولى بان قال ان القلب في النارِ

ومن لطائف مجونه في هذا الباب

طوت الزيارة اذ رأت عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت اهرب وهي تسأل جارة من بعد جاره
وتقول ياستي استرحنا لاسراجَ ولا مناره

ومما روى عنهُ في صناعة الوراقة قوله

نصب الحشا غرضًا فقرطس اذ رمى وهي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلاً فقال مغالطًا ياليت شعري من هو الورّاق

ومنهُ قوله

يا خجلتي وصحائف سود غدت وصحائف الابرار في اشراق
وتوقفي لموبخ لي قائل أكذا تكون صحائف الورّاق

ومن لطائفه في غير لقبه وصناعته قوله

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحي لهموم نفس لست لاحملنها
قد كان عندك يا فلان صريمة فاجبتهم بعت الحمار و بعتها

ومنهُ قوله

اصون اديم وجهي عن اناس لقاء الموت عندهم الاديب
وربّ الشعر عندهمُ بغيض ولو وافى بهِ لهمُ حبيب

ومن لطائف مجونه

وقائل ليَ لما ان بدا قلقي من انتظاري لآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم محمودة قلت اخشى ان تخرّبنا

ومنهُ قوله

اتيت ارجّيه في حاجة فلم تنبعث نفسه الخامده

وفتل في ذقنه والنفوس تعاف المثلّثة البارده

ومنهُ قوله

واحمق اضافنا ببقلة لنسبة بينها ووصله
فمن اقل ادبًا من سفلة قد مدّ في وجه الضيوف رجله

ومنهُ قوله

وسائل يسأل مني وقد انشدت شعرًا دونهُ الشِّعرى
يقول لي اذ كنت في معشر قد عبدوا البيضاء والصفرا
هل حصلت دائرة بينهم قلت نعم بطيخة خضرا

ومنهُ قوله

مدحتهُ جهدي فما اهتز من قولي ونادى الناس كم تتعب
فقلت ارجو زبدة قيل لي فاتك ابن اللبن الطيب

ومن لطائف مجونه

كان ايرا صار سيرا يلطم الاكساس سخره
كيف لا ينفر مني ومعي شيب ودره

ومنهُ قوله

فسّر لي عابد مناما فصّل في قوله واجملْ
وقال لابد من طلوع فكان ذاك الطلوع دمّل

وقال وقد طلب من الروساء شرابًا وما وصل

لا تطمعنّ براحة من معشر سادوا بغير مآثر السادات
قطعت عن المعروف ايديهم وقد سرقوا العلا فخانتْ من الراحات

وكتب الى القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر

انا تحت وعدك واعد املي بما يرجوه من ظفر ومن نجح
اذ قال ابن الجود قلت اجيبه مع ابن مبنيٌّ على الفتح

ومن نكته الغريبة في هذا الباب قوله

ومبخل بالمال قلت لعله　　يندى وظني فيه ظن مختلف
جمع الدراهم ليس جمع سلامة　　فاجابني لكنه لا ينصرف

وكتبت في هذا المعنى الى شهاب الدين الذهبي بدمشق في صرف دنانير احلت بها عليه وحسنت الصرف ولم اكن سمعت بشهادة الله قول الورّاق

قد منعتم صرف الدنانير عني　　ولكم في الورى هبات كثيره
وانا شاعر وفي شرع نظمي　　صرفها واجب لاجل الضروره

ومن نكته الغريبة في مدائحه

رأيت قطوف عفوك دانيات　　فنحن على المدى نجنى ونجني
وكم بات المسيء قرير عين　　وسيفك اذ حكمت قرير جفن

ومن اتفاقاته البديعية ان النصير الحمامي نظم قصيدة وسأله أن يثني عليها بحضرته فلما انشده بحضرته السراج انشد

شاقني للنصير شعر بديع　　ولمثلي في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت اسمك فيه　　قلت نعم المولى ونعم النصير

وكتب الى بعض اصحابه يطلب كتاباً

لك في المكارم سنة مألوفة　　معروفة الانسان والاسباب
فابعث لعبدك بالكتاب فلم تزل　　نقواك تشفع سنة بكتاب

ومن لطائفه في شخص اسمه عرفات

أطنبوا في عرفات وغدوا　　يتعاطون له حسن الصفات
ثم قالوا لي هذا وقتنا　　قلت عندي وقفة في عرفات

ومن اغزاله في باب التورية

وفاتك يجرح سيف لحظه　　مجردًا من جفنه ومغمدا
خاف على خدّيه من لحاظه　　فبات في عذاره مزرّدا

ومنهُ قوله:

ومهفهف عني يميل ولم يمل ... يومًا اليَّ فصحت من الم الجوى
لم لا تميل اليَّ يا غصن النقا ... فأجاب كيف وانت من جهة الهوى

ومنهُ قوله

قلت للاهيف الذي فضح الغصن ... كلام الوشاة ما ينبغى لكْ
قال قول الوشاة عنديَ ريح ... قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

ومنهُ قوله

عشقت من ريقته قرقفا ... وما لها اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا ... منهُ كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله ... فاختار أن يبقى بلا حاجب

ومنهُ قولى

ولنا ساق جواد كنه ... وكنت بالراح سحبا بعد سحب
قال قوم فاق كعبًا في الندى ... قلت لاغرو لساق فوق كعب

ومنهُ قوله

ياساكنا قلبي على انهُ ... بوجده في قلق ذائب
قلبيَ من خوف النوى واجب ... وانت لم تخرج عن الواجب

ونكتة الواجب اخذها الشيخ جمال الدين ابن نباتة ونقوى على وقوعها برامي بندق حيث قال

اسعد بها يا قمري برزة ... سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا ... فما تعديت عن الواجب

ومن لمع السراج قوله

وقفت باطلال الاحبة سائلا ... ودمعي يسقى ثمَّ عهدا ومعهدا
ومن عجب انى اروّى ديارهم ... وحظى منها حين أسألها الصدا

تقدم القول ان نكتة الواجب أوقعها ابن نباتة برامي بندق وأما نكتة الصدا أخذها بالسيف فقال

أدعو السيوف صقيلة من لحظه ... وإذا دعوت لماه جاوبني الصدا

ويعجبني من تغزلات السراج قوله

اقول لهم شبهت بالغصن قدّها ... فقالوا رأينا قدّها منه أرشقا
فقلت وبالرمان شبهت نهدها ... فقالوا اذًا شبهت شيئًا محققا

وقوله

وبي من البدو كحلاء الجفون بدت ... في قومها كمهاة بين آسادِ
بنت عليها المعاني من ذوائبها ... بيتًا من الشعر لم يعدد بأوتادِ
وأوقدت وجنتاها النار لا لقرى ... لكن لافئدة منًا وأكبادِ
فلو بدت لحسان الخصر فزّ لها ... على الرؤوس وقلنا الفضل للبادي

قلت ديوان الشيخ سراج الدين الورّاق رحمه الله تعالى سبع مجلدات في القطع الكامل ولكن الذي جنيته وفكهت المتأمل بهِ هنا هو ثمرات تلك الاوراق وجمع الشيخ صلاح الدين الصفدي من ديوانه كتابًا لطيفًا سمّاه لمع السراج ولكن رأيت نور السراج فيهِ قليلاً ومن نقاطيف الجزار في سمين التورية قوله

ألا قل للذي يسأ ... ل عن قومي وعن اهلي
لقد تسأل عن قوم ... كرام الفرع والاصلِ
ترجيهم بنو كلب ... وتخشاهم بنو عجلِ

وقوله عفى عنه

اني لمن معشر سفك الدماء لهم ... دأب وسل عنهم ان رمت تصديقي
تضيء بالدم اشراقًا عراصهمُ ... فكل ايامهم ايام تشريق

ومن ظريف قوله

كيف لا اشكر الجزارة ما عشـ ... ـت حفاظًا وأرفض الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجبـــني وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وقوله

لا تعبني بصنعة القصاب فهي ازكى من عنبر الآداب
كان فضلي على الكلاب فمذ صر ت اديبا رجوت فضل الكلاب

وكتب الى نصير الدين الحمامي

ومذ لزمت الحمام صرت بها خلاً يداري من لا يداريه
أعرف حرّ الاشيا وباردها .وآخذ الماء من مجاريه

فكتب اليهِ الجزار

حسن التأني مما يعين على رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ صار في جزارته يعرف من أين تؤكل الكتف

ومن لطائف مجونه ما كتب بهِ الى بعض الرؤساء وقد منع من الدخول الى بيته في يوم فرح

امولاي ما من طباعي الخروج ولكن تعلمته من خمول
اتيت لبابك ارجو الغنى فأخرجني الضرب عند الدخول

وقوله

تزوج الشيخ ابي شيخـــة ليس لها عقل ولا ذهن
لو برزت صورتها في الدجى مـــا جسرت تبصرها الجنّ
كأنها في فرشها دمنة وشعرها من حولها قطن
وقائل قد قال مـــا سنّها فقلت ما في فمها سنّ

وكتب الى بعض الرؤساء يستهدى قطرا

ايا علم الدين الذي جود كفه وفيض نداه أخجل الغيث والقطرا
لئن امحلت ارض الكنافة انني لارجو لها من سحب راحتك القطرا

هذا القطر الذي تحلى بهِ ابن نباتة بقوله

لجود قاضي القضاة اشكو عجزي عن الحلو في صيامي
والقطر ارجو ولا عجيب للقطر يرجى من الغمام

وتحلى الناس بهذا القطر كثيرًا ويعجبني من تغزلات ابي الحسين الجزار قوله

تكلف بدر السما اذ حكى محياك لو لم يَشنْهُ الكَلَفْ
وقام بعذرى فيك العذار فاجرى دموعيَ لما وقفْ

ومنهُ قوله

حمت ثغرها والخد عن هائمٍ شجٍ لهُ امل في مورد ومورّد
وكم هام قلبي لارتشاف رضابها فاعرب عن تنصيل نحو المبرد

ومما شرح الصدر والقلب من نظم نصير الدين الحمامي

وكدرت حمامى بغيبتك التى تكدر فيها العيش من كل مشرب
فما كان صدر الحوض منشرحًا بها ولا كان قلب الماء فيهِ بطيّب

وقوله لى منهل معروفه ينهل غيثًا كالسحبْ
اقبل ذا العذر بهِ واكرم الجار الجنب

وقوله اصبحت من اغنى الورى وطائرا بالفرح
عندىَ خمر ذهب اكتاله بالقدح

وقوله اقول للكأس اذ تبدى بكف احوى اغنّ أحورْ
اخربت بيتي وبيت غيري واصل ذا كعبك المدور

ومن لطائف مجونه ما كتب بهِ الى السراج الوراق على يد مليح ولسانه قوله

عبدك يا مولاي وافى بها ولى بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده وفيك فهم انهُ يدخل

وقوله عفى عنهُ

رأيت شخصًا آكلا كرشة وهو اخو ذوق وفيهِ فطنْ

وقال ما زلت محبًّا لها　　قلت من الايمان حب الوطنْ

وممن انتظم في سلك الجماعة وانتصر للتورية ناصر الدين حسن ابن النقيب فمن نظمه قوله

وما لي سوى عين نظرت لحسنها　　وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة　　لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

وقوله

رميت بهجتي جمرات شوق　　ولم تأخذك بالمشتاق رأفهْ
فهرول دمع عيني فوق خدي　　وما حصلت لهُ مع ذاك وقفه

وقوله

بخالد الاشواق يحيى الدجا　　يعرف هذا العاشق الوامق
فخذ حديث الوجد عن جعفر　　من دمع عيني انهُ الصادق

ومثلهُ في الحسن قوله

يا مالكي ولديك ذلي شافعي　　ما لي سألتُ فما اجبتَ سؤالى
فوخدّك النعمان ان بليتي　　وشكايتي من جفنك الغزالِ (لى)

ومثلها في الحسن قوله

اقول لمن جفنه سيفه　　ولكنهُ ليس يخشى نبوّهْ
تكلف جفنك حمل الفتور　　واظهر فيهِ من الضعف قوهْ

ومن نكته الغريبة البديعة قوله

قلت لسقم الجفن مني وقد　　افرط بي فرط ضنا واكتئابْ
فعلت بي يا سقم ما لم تكن　　تلبس والله عليهِ الثياب

وما يعجبني من مدائحه قوله

انت طوقتني صنيعا واسمعـتك شكرا كلاهما لا يضيع
فاذا ما شجاك سجعي فاني　　انا ذاك المطوق المسموع

قلت ومن هنا ولد ابن نباتة سجع المطوق وروى ومنه قوله

جودوا لنسجع بالمديـ ح على علاكم سرمدا
فالطير أحسن ما يغـرد عند ما يقع الندى

وقوله ابيات شعري كالقصو ر ولا قصور بها يعيق
ومن العجائب لفظها حرٌ ومعناها رقيق

قلت ومن هنا ولد ابن نباتة سوق الرقيق ومن نكته الغريبة قوله

قالوا قد احترقت بالنار راحته وهي الغمام ومنها الوابل الغدق
وقال قوم وما ضلوا وما وهموا بانها النيل قلت النيل يحترق

ومن نكته الغريبة قوله

اقول وقد شنوا الى الحرب غارة دعوني دعوني آكل الخبز بالجبن

ومن نكته الغريبة قوله

اقول لنوبة الحمّى اتركيني ولم يك منك لي ما عشت أوبهْ
فقالت كيف يمكن ترك هذا وهل يبقى الامير بغير نوبهْ

ومن نظمه في باب المجون قوله

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا والعلق لا شيء لديه ولا معه
فاجبتهم انفاقه من جحره قالوا صدقت لذاك ينفق من سعه

(قلت) من الطف ما وقع في تورية السعة قول ابي الحسين الجزار وقد وقف على باب ابن الزبير ومنع من الدخول دون غيره فجهز رقعة مضمونها

الناس كلهم كالاير قد دخلوا والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما وقف ابن الزبير على هذا البيت امر بعض الخدام ان ينادي يا خصى ادخل فدخل ابو الحسين وهو يقول هذا دليل على السعة ومن مجونات ابن النقيب قوله

ومكرش اضحى يحلق سفله عسى هو لا يشكى اليه ويشكر
وينص لحيته فان ناديته لباك وهو محلق ومقصر

ومن لطائف قوله

نقت لي رأس من الخيل كانت | نسبق البرق والرياح الزعازعْ
وابتلى الله في المشاعر اخرى | بشقاق لها عن المشي مانعْ
واذا قيل كم لك اليوم رأس | قلت رأس لكن بغير كوارعْ

وممن حصل الجلاء لعيون التورية بملاطفته الحكيم شمس الدين ابن دانيال الكاحل فمن ذلك قوله

يا سائلي عن حرفتي في الورى | واضيعتي فيهم وافلاسي
ما حال من انفاقه درهم | يأخذه من اعين الناس

ومن لطائف مجونه

ما عاينت عيناي في عطلتي | اقل من حظي ومن بختي
قد بعت عبدي وحماري معاً | وصرت لا فوقي ولا تحتي

وقوله ايضاً

ذات القوام التي تهتز غصن نقا | لو مرّ يوماً عليه طائر صدحا
غناؤها برقيق الغنج تمزجه | فما ينقّط الاّ كل من رشحا

ويعجبني من تغزلاته الى الغاية قوله

ايا سائلي عن قدّ محبوبي الذي | فتنت به وجداً وهمت غراما
ابى قصر الاغصان ثم رأى القنا | طوالاً فاضحى بين ذاك قواما

وممن احيا دارس التورية واظهر خفيها الشيخ محيي الدين بن عبد الظاهر فمن ذلك قوله

لقد قال كعب في النبيّ قصيدة | وقلنا عسى في فضلها نتشارك
فان شملتنا في الجوائز رحمة | كرحمة كعب فهو كعب مبارك

ومن نكته الغريبة قوله

لا تسلني عن اول العشق اني | انا فيه قديم هجر وهجرهْ

من دموعي ومن جبينك ارخـ ـت غراماً بمستهلّ وغرّه

ومثله في الحسن قوله

سلّ سيفاً من جفنه ثم ارخى وفرة وفرت عليهِ الحيله

ان شكا الخصر طولها غير بدع لنحيل يشكو الليالي الطويله

قلت ومن هنا اخذ الشيخ شمس الدين ابن العفيف فقال

حل ثلاثا يوم حمّامه ذوائبا تعبق منها الغوال

فقلت والقصد ذؤاباته ياساهري في ذا الليالي الطوال

وهذا المعنى تطفل عليهِ كثير من المتأخرين ولولا الخيفة من طول الشرح لذكرتهم

ويعجبني من نكت القاضي محيي الدين قوله

وبروحي هويته اعجمياً لي لَذّت الفاظه السكريّه

كم حلا عجمة فقلت لخلي خلّني والحلاوة العجميه

ومثله في الحسن قوله

ذباب السيف من لحظ اليهِ لاخضر صدغه بعض انتساب

ولا عجب اذا ما قيل هذا له صدغ زمرده ذبابى

وقوله عفى عنهُ

ذو قوام يجور منهُ اعتدال كم طعين به من العشاق

سلب القضب لينها فهي غيظا واقفات تشكوه بالاوراق

هذا المعنى تطفل عليهِ غالب المتأخرين ويعجبني من اختراعات القاضي محيي الدين

ابن عبد الظاهر قوله

يارب كأس صرت من شربها من بعد رشفي ريقَ معشوقى

ملتهب الاحشاء ناراً وقد شربتها منهُ على الريق

ومن لطائف اتفاقاته في معشوقه المسمى بالنسيم قوله

يا من غدا لى من عوا صف هجره الريح العقيم

اترى يطيب لِيّ الهوى ويقال لى رق النسيم

ومثلهُ قولهُ فيهِ

ان كانت العشاق من اشواقهم جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذي اتلوهم يا ليتني كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومن لطائف نكتته قوله

يا قاتلي بلحاظ فتيلها ليس يقبرْ
ان صبّروا عنك قلبي فهو القتيل المصبّرْ

ومن لطائف قوله

لا ينقل الروض احاديثه عن عين نمام غدت خافيهْ
فانهُ ننقل اخباره اليّ عين عنده صافيهْ

ومن لطائفه ايضًا قوله

ان لوزىّ حلق واهن الحَيْل والقوى
لم يكلفك كسره فالق الحب والنوى

وقلت في المشمش السلطاني بحماة

قال سلطاني حماة عندما اجلسوه مذ اتاهم في الصدور
مشمش الشام يقوى قلبه يوم نقع فهو قد اضحى وزيري

ومن لطائف القاضي محيي الدين قوله

شكرًا لنسمة أرضكم كم بلغت عني تحيّه
ولكم اطالت بل اطا بت في رسائلها الزكيه
لاغروَ ان نقلت احا ديث الهوى فهي الذكيه

هذه النكتة اخذها الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال

يا طيب نشر هبّ لي من ارضكم فاثار كامل لوعتي وتهتكي
اهدى تحيتكم واشبه لطفكم وروى شذاكم ان ذا نشر ذكي

وهذه السرقة اشار اليها الشيخ شهاب الدين ابن ابي حجلة فقال

ان ابن ابيك لم تزل سرقاته   تأتي بكل قبيحة وقبيح
سرق المعاني في النسيم لنفسه   جهلاً فراح كلامه في الريح

ومن لطائف نكت القاضي محيي الدين قوله

ذات طوق وذات زيق تغني   فتنبي بالوجد من ليس يدري
زيقت ثم كاشفتنا فقلنا   لك زيق الغنى ولي زيق فقري
ما تراها قد حدثت خاطر النهـ   ـر بما قد جرى وما منهُ يجري

ومن لطائف نكته قوله

وبطحاء في وادٍ يروقك روضها   ولا سيما ان جاد غيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بادمع   برقرقها منهُ هنالك محجر
اذا فاخرتها الريح ولت عليلة   باذيال كثبان الربا تتعثر
بها الفضل يبدو والربيع وقد غدا   بها الروض يحيى وهو لا شك جعفر

ويعجبني من خمرياته قوله

خمرة للشقيق امست شقيقهْ   بنت كرم بالمكرمات خليقهْ
قال قوم من اطفها هي في الكا   س مجازٌ والكأس فيها حقيقه
انبئت فرحة وجاءت بكأس   صبغت حمرة فنعم العقيقه

ومن نكتهِ البديعة الغريبة قوله ما كتب بهِ من عيون القصب عند عوده من الحجاز الشريف

كتبت لكم من اعين القصب التي   لها من معانيكم ومن نفسها طربْ
فان اطرب التشبيب فيها بذكركم   فكم اطرب التشبيب من اعين القصبْ

ومن هنا اخذ المعمار فقال

هويته مشببا   جمالهُ سرح لي
تيم قلبي بالحجا   ز من عيون القصبِ

وكتب من منزلة القطيفة بالقرب من دمشق في فصل الشتاء

هذي القطيفة التي لا تشتهي عنلاً ونقلا
حشيت ببرد يابس فلاجل ذاك الحشو نقلي

وقال في جارية اسمها وردة

بابي دمية مولدة الحسن دعوها بوردة البستان
في التصاوير مثلها ليس يلفى فيقولون وردة كالدهان

ومن نكته التي سبق بها وجرى الناس خلفه قوله

ياسيدي ان جرى من مدمعي ودمي للعين والقلب مسفوح ومسفوك
فلا تخف قودًا يقتص منك بـه فالعين جارية والقلب مملوك

ومن هنا اخذ الشيخ شمس الدين المزين فقال

ورّوا فقلت دموع العين جارية والقلب ان كان حرًّا فهو مملوك

ومن لطائف القاضي محيي الدين في المواليا في مليح على خدّه شطبة

لك طرف جفنو حمى من حسنك السرحه كم قد اغار على العشاق في صبحه
لمـا علمتو بانوّ سايق اللمحه عليك خنتو فشطبتو على صحه

نظمت هذا المعنى في مبادي العمر قبل وقوفي على قول القاضي محيي الدين فقلت

بالصدغ ابدى شطبه من شكله محوط سألتها عن أمرها فقال زاد اللغط
قلتم بدا لي عارض مشكل منقط حيث شطبت فوقه وقلت هذا غلط

ومن لطائف مجون القاضي محيي الدين قوله

ظفر الشيب والقى خلفه كالقطن وفره
قلت ماذا قال شيب قلت والله ودرّه

هذه النكتة تزاحم القاضي محيي الدين والسراج الوراق عليها بالمنكب ومن مجون القاضي محيي الدين قوله

واعور العين ظلّ يكشفها بلاّ حيًا منه ولا خيفه

وكيف يلذ الحيا عند فتىً　　عورته لا تزال مكشوفه

وقوله عفى عنه

قال لى العلق وقد جئته　　أُريه أيرًا فاق في حسنه

أيرك هذا مات قلت انحنى　　كرامة الميت في دفنه

ومن غرائب نكته قوله

ملأت الليالى من علا وختمتها　　فقد اصبحت محشوّة بمكارمكْ

ختمت عليها بالثريا فقل لنا　　أهذا الذي في كفها من خواتمك

وهذه زاوية شيخ شيوخ حماه المحروسة

اما بعد حمد الله الذي اطلعنا من زوايا الادب على خبايا * وارشدنا بمشايخ شيوخه الى سلوك ما فيه من المزايا * والصلاة والسلام على نبيه الذي اختاره فكان نعم المختار * وعلى آله وصحبه المنتظمين في سلك هذا الاختيار * فقد انتهى ما اوردته منوعًا في التورية من الحلاوات القاهريه * وقد تعين ان افكه المتأمل بعد ذلك بالفواكه الشاميه * واقتطف له من فروع شيخ الشيوخ ما يظهر به مزية الثمرات الحمويه * وقدرة السلطنة في الادب وناهيك بالسلطنة الشيخيه * فاخترت من ابيات قصائده ومواصيل مقاطيعه ما يحلو به التشبيب * وسميته زاوية شيخ الشيوخ علمًا بانها زاوية يتأهل بها الغريب * والله تعالى يجعلنا ممن تخير العمل الصالح فاحسن * وسمع القول فاتبع منه الاحسن * فمن ذلك قوله من قصيدة

ويلاه من نومي المشرد　　وآه من شملى المبدد

يا كامل الحسن ليس يطفي　　نارى سوى ريقك المبرد

ويعجبني من مطالعه في هذا الباب قوله

حروف غرامي كلها حرف اغراء　　على ان سقمي بعض افعال أسماء

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين ابن نباتة فقال

أودت فعالك يا اسما باحشائي وا حيرتي بين افعال واسماء

ومن لطائف نكة شيخ الشيوخ في هذا الباب قوله

ولقد عجبت لعاذلي في حبه لما دجا ليل العذار المظلم

او مادرى من سنتي وطريقتي اني اميل مع السواد الاعظم

ومن هنا اخذ ابن نباتة وزنًا وقافية فقال

اهواه معسول الرضاب منعما ولقد يعذبني الهوى بمنعم

يا قلب هذا شعره وجفونه صبرًا على هذا السواد الاعظم

ومن اختراعات شيخ الشيوخ قوله

قالوا اما في جلق نزهة تنسيك من انت به مغرى

يا عاذلي دونك من لحظه سهما ومن عارضه سطرا

ومن هنا اخذ الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا فقال

سألتكما ان جئتما الشام بكرة وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا

قفا واقرآ مني كتابًا كتبتهُ بدمعي لكم مقرًا ولا تنسيا سطرا

ومن غرائب نكة شيخ الشيوخ التي سبق بها الناس

مرضت ولي جيرة كلهم عن الرشد في صحبتي حائد

فاصبحت في النقص مثل الذي ولا صلة لي ولا عائد

هذا المعنى تطفل عليه غالب الناس منهم الشيخ عز الدين الموصلي بقوله عفى عنه

اهل دمشق قد مرضت عندهم وما قصدت نحوهم بصلة

مع علمهم بانني انا الذي ولا اتاني عائد ولا صله

ومنه قوله اقام بخدّه الناري عِذارا ومذ أقصى عذارى وهو ثلجي

حمى مرج العذار بمقلتيه فامسى الناس في هرج ومرج

وقوله عفي عنه

سبحان مورثه من حسن يوسف ما لم يبق في الجرلي والصبر من حصص

اقام للشعراء العذر عارضهُ فكم لهم في دبيب النمل من قصص

ومنهُ قوله

يا نظرة ما جلت لى حسن طلعته حتى انقضت وادامتني على وجل

عاتبت انسان عيني في تسرعه فقال لى خلق الانسان من عجل

اخذ الشيخ جمال الدين ابن نباتة فقال

انسان عيني بتكحيل السهاد ملي عمري لقد خلق الانسان من عجل

ومن نكت شيخ الشيوخ قوله

قلت وقد عقرب صدغًا لهُ عن مشقة الحاجب لم يحجب

قد سدت يا رب الجمال الذي الف بين النون والعقرب

وقال وتلطف عني عنهُ

افدي حبيبًا رزقت منهُ عطف محب على حبيب

بوجنة ما اثم ريحي وقد غدا وردها نصيبي

اخذه الشيخ جمال الدين ابن نباتة بالقافية فقال

فديتك غصنًا ليس يبرح مثمرا من الحسن في الدنيا بكل غريب

تفتح في وجناته الورد احمرا فياليت ذاك الورد كان نصيبي

ومن لطائف شيخ الشيوخ قولهُ

هزم الهمّ عن نداماى راح حظيت من سماعهم بلحون

لم تكد في الكؤوس تظهر لطفا فبدت من خدودهم في الصحون

ومن لطائف مجونه قولهُ

سألتهُ من ريقه شربة اطفى بها من كبدى حرّة

فقال اخشى ياشديد الظما ان تتبع الشربة بالجرّه

هذه الجرّة شرب منها غالب المتأخرين ومن نكت شيخ الشيوخ ما كتبهُ على حوض حمام السلطان بحماة قولهُ

كملت لطفًا ووقارًا على ما حزت من اوصافي الحلوه
من اجل هذا صرتُ اهلاً لأن اجالس السلطان في الخلوه

وممن اجار رفيق التورية من غلظ العقادة الامير مجير الدين محمد بن تميم الدمشقي فمن ذلك قوله

لما لبست لبعده ثوب الضنى وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
اجريت واقف ادمعي من بعده وجعلتهُ وقفًا عليه جاريا

وقوله

وساقية تجود على الندامى وتنهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يوم لهو قد تقضى بساقيةٍ تقابلنا بنهر

وهذه النكتة تلاعب بها الناس بعد ابن تميم كثيرًا ويعجبني من لطائف اغزاله قوله

يا حسن أهيف حظهُ من حبنا طيب النعيم وحظنا منهُ الشقا
قدم العذار الى نقا وجناته يا مرحبًا بقدوم جيران النقا

وقوله

وعيرني بالشيب قوم احبهم فقلت وشأن العاشقين التحمل
بعثتم الى رأسي المشيب بهجركم ومهما اتى منكم على الرأس يحمل

وهذه النكتة تلاعب بها المتأخرون بعد ابن تميم كثيرًا ومن لطائفه قوله

ونهرٌ خالف الاهواء حتى غدا طوعًا لها في كل أمر
اذا سرقت حلى الازهار القت اليه بها فيأخذها ويجري

وقوله

سرق النسيم حُلَا الغصون بسحرة لما رآها وهي في اطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها في صدره من خوفه وجرى بها

ومن غرائب نكته التي سارت بها الركبان قوله

وليلة بت اسقى في غياهبها راحًا تسل شبابي من يد الهرم

ما زلت اشربها حتى نظرت الى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ومن نكته الغريبة قوله

ونهرٌ يحب الروض اصبح مغرمًا يروح ويغدو هائمًا بوصالها

اذا بعدت عنه شكا بخريره جفاها وامسى قانعًا بخيالها

ومثل ذلك في الغرابة واللطف قوله

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس المـــزرور قال وقوله لا يدفعُ

فتح عيونك في سواي فانما عندي قبالة كل عين اصبعُ

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

ايا حسنها من روضة ضاع نشرها فنادت عليه في الرياض طيور

ودولابها كادت تعد ضلوعه لكثرة ما يبكي بهـــا ويدور

النكتة في يدور وفي ضاع دارت بعد ابن تميم بين الجماعة وتسلسل دورها منهم بدر الدين يوسف ابن لؤلؤ الذهبي بقوله

وروضة دولابها الى الغصون قد شكا

من حين ضاع نشرها دار عليها وبكى

ومنهم الشيخ جمال الدين ابن نباتة بقوله

وناعورةٍ قسمت حسنها على واصفٍ وعلى سامع

وقد ضاع نشر الربا فاغتدت تدور وتبكي على الضائع

ومنهم الشيخ صلاح الدين الصفدي ونقل المعنى الى الغزل بقوله

اضحى يقول عذاره هل فيكم لي عاذر

الوردُ ضاع بخدّه وانا عليه دائر

وبعضهم نقصه ورضي بالدور فقال

ابدى لنا الدولاب قولاً معجبا لما رآنا قادمين اليه

اني من العجب العجيب كما ترى قلبي معي وانا ادور عليه

ومثلهُ قول الشيخ زين الدين الوردي

ناعورة مذعورة وَلْهَانة وحائرهْ
الماء فوق كتفها وهي عليه دائره

ومن لطائف ابن تميم في هذا الباب قوله

روحي الفداء لمن ادار بلحظهِ صهباء في عقلي لها تأثيرُ
فاعجب له انى يصون بلحظهِ مشمولةً وإناؤها مكسورُ

وقولهُ عفي عنهُ

اني لاشهد للحصى بفضيلة من اجلها اصبحت من عشاقه
ما زاره ايام نرجسهِ فتى الاَّ واجلسهُ على احداقه

وقولهُ

الا ربَّ يوم قد نقضى ببركةٍ اقمت بها فيما جرى متفكرا
بعيني رأيت الماء فيها وقد هوى على رأسهِ من شاهقٍ فتكسرا

وقولهُ

يا حسنهُ من جدول متدفق يُلهي برونق حسنه من أبصرا
ما زلت انظره عيونًا حولهُ خوفًا عليهِ أن يصاب فيعثرا
فأبى وزاد تماديًا في جريه حتى هوى من شاهقٍ فتكسرا

وتورية تكسر تلاعب بها الناس بعد ابن تميم كثيرًا ومن لطائف نكته التي تقدم معناها وحلا مكررها قولهُ

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى ودمعهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما فاصبح ذا يجري وذاك يدور

قال الشيخ اثير الدين ابو حيان انشدني ابو الخير الازدي لمجير الدين ابن تميم قولهُ

نزلنا الى الغوْر في جحفلٍ نقاتل قومًا من المسلمينا
قطعنا الشريعة في حربهم وخضنا اليهم مع الخائضينا

ومن نكته البديعة قولهُ

لو كنت تشهدني وقد حميَ الوغى ... في موقفٍ ما الموت عنهُ بمعزل

لترى انانيب القناة على يدى ... تجرى دمًا من تحت ظل القسطل

ومن نكته البديعة قولهُ

اني لاعجب في الوغى من فارس ... حارت دقائق فكرتي في كنهه

ادّى الشهادة لي باني فارس !! ... هيجاء حين جرحته في وجهه

ومن لطائفه الغريبة قولهُ

لم أنس قول الورْق وهي حبيسة ... والعيش منها قد اقام منغّصا

قد كنت البس من غصوني أخضرا ... فلبست منها بعد ذاك مقنّصا

ومن لطائفه فيمن عزل عن منصبه

كم قات لما فاض غيظًا وقد ... ازيح عن منصبه المعجب

لا تعجبوا ان فار من غيظه ... فالقلب مطبوخ على المنصب

وهذا المعنى الم بهِ شرف الدين ابن النصيبي واستعملهُ فقال

ولّوك اذ علموا بجهلك منصبًا ... علموا بانك عن قليل تَبْرُخُ

طبخوا بنار العزل قلبك بعد ذا ... وكذا القلوب على المناصب تطبخُ

ومن لطائف اغزاله قوله

قالوا بدا نبت خدّيه فخذ بدلاً ... عنهُ فقلت لهم حاشاهُ حاشاهُ

ان لاح في خده نبت فلا عجب ... الله انبتهُ والعين ترعاهُ

وتورية النبت والرعى تلاعب بها جماعة من المتأخرين بعد مجير الدين ابن تميم

ومن لطائف نكته البديعة قولهُ

دعيت فكان أكلي فخذ طير ... ولم أشرب من الصبهاء نقطة

وما يومي كأمس وذاك اني ... أكلت أوُزّةً وشربت بطه

اخذ الشيخ صلاح الدين ذلك مع القافية فقال

شوى الاوز فاضحت | في حمرة الخدّ بسطه
فقلت تشوي اوزًّا | ام كنت تشرب بطه

ومن لطائف نكتته ايضًا قوله

قد هجرت الراح حتى | ليس لي فيها نصيب
وعلى الراووق مني | طول ما عشت صليب

ومن غريب نكتتهِ ايضًا قوله في اغزاله

شبهت خدّك يا حبيبي عندما | ابدى الجمال بهِ عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها | خطًّا دقيقًا بالنضار مشعّرا

ومثله في الغرابة قوله

لما احتمت عنا الغزالة بالسما | وعزّ على قناصها ان ينالها
نصبنا شباك الماء في الارض حيلةً | عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

ومن قوله فيمن أهدى له مهرةً حمراء

اهديت لى يا مالكي مهرة | جميلة الخلق بوجه جميل
مؤخرها والعنق قد أوقعا | قلب الاعادي في العريض الطويل
قد لبست من شفق حُلةً | تخبرنا ان اباها اصيل

ومن لطائف قوله

حبيبي وعدت الكأس منك بقبلةٍ | واعقب ذاك الوعد منك نفار
وما كان هذا لونها غير أنها | علاها لطول الانتظار صفار

ومن هنا اخذ الشيخ بدر الدين بن الصاحب قوله

يا حابس الكأس لا تزدها | من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مزاجًا لها لطيفًا | اورثهُ الانتظارُ صفره

ومن لطائف ابن تميم قوله

لما رأت عيني مناطقك التي | أضحت بشعرك دائمًا تتعلق

لا تستقرّ وقد علتها صفرة ونحول جسم بالصبابة ينطق
ايقنت ان الخصر ضاع نحافة فلذا تدور جوى عليه و يعلق

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال

وشاح من أحبته قد قال لى وهو الذي في قوله قد صدق
قد ضاع مني الخصر لما انثنى اما تراني دائرًا في قلق

ومن نكته الغريبة قولهُ في سجادة

ايا حسنها من سجادة سندسية يرى للتقى والزهد فيها توسم
اذا ما رآها الناسكون ذووا الحجا امامهمُ صلوا عليها وسلموا

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

ان سجادتي الحقيرة قدرا لم يفتها في بابك التعظيم
شرفت اذ سعت اليك فامست وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها الشيخ زين الدين بن الوردي فقال

سجادتي اذكرتني منك الذي كنت اعلمْ
اهديتها لمحب صلّى عليها وسلمْ

ويعجبني من لطائف ما كتب بهِ على كتاب

يا حسنها نسخة يلهو مطالعها بها لما حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت اجزاؤها فحكت لطف النسيم وحاشاها من السقم

وممن ابدر في افق التورية ونظم عقودها بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي فمن ذلك قوله

صدوا وقد دبّ العذار بخدّه ما ضرهم لو أنهم خبروه
هل ذاك غير نبات خدّ قد حلا لكنهم لما حلا هجروه

وقوله عرج على الزهر يا نديمي وملْ الى ظله الظليل
فالروض يلقاك بابتسام والريح تلقاك بالقبول

وقوله ورياض وقفت اشجارها وتمشت نسمة الصبح اليها
طالعت اوراقها شمس الضحى بعد ان وقّعت الورق عليها

كتب الشيخ صلاح الدين الصفدي على هذين البيتين بخط التوقيع هنا اليق بابن عبد الظاهر ولكن طلع واطلع عليه البدر * وحفظ سره لما اضاعه ذلك الصدر * ومن لطائف بدر الدين قوله

وحديقة مطاولة باكرتها والشمس ترشف ريق ازهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصا واذا جرى بين الرياض تشعبا

هذا التشعيب هنا فيه زيادة على ما تقدم من تكسير ابن تميم ومنهُ اخذ القيراطي وقال

وكأن ذاك النهر فيه معصم بيد النسيم منقّش ومكتّب
واذا تكسر ماؤه ابصرته في الحال بين رياضه يتشعب

ومن لطائف بدر الدين يوسف من قصيدة

وتنبهت ذات الجناح بسحرة بالواديين فنبهت اشواقي
ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن يعقوب والالحان عن اسحاق
قامت تطارحني الغرام جهالة من دون صحبي في الحمى ورفاقي
اني تباريني جوى وصبابة وكآبة واسىً وفيض مآقي
وانا الذي املى الجوى من خاطري وهي التي تملى من الاوراق

ومنهُ قوله هلم يا صاح الى روضة يجلو بها العاني صدا همه
نسيمها يعثر في ذيله وزهرها يضحك في كمه

وقوله ايضاً

أدر كؤوس الراح في روضة قد نمقت ازهارها السحب
والطير فيها شيق مغرم وجدول الماء بها صبٌّ

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال في نواعير حماة

وكلها من الحنين قلب لا سيما والماء فيها صب

ويعجبني من لطائف بدر الدين قوله من قصيدة

باكر الى الروضة نستجلها   فثغرها في الصبح بسام
والنرجس الغض اعتراه الحيا   فغض طرفًا فيه اسقام
ونسمة الريح على ضعفها   لها بنا مرّ والمام
فعاطني الصهباء مشمولة   عذراء فالواشون نوّام
واكتم احاديث الهوى بيننا   ففي خلال الروض نمّام

ومن هنا اخذ الجماعة والشيخ صفي الدين مع ان التورية غير مذهبه ولكنه قال

اقول وطرف النرجس الغض شاخص   اليّ وللنمام حولي إلمام
ايا رب حتى في الحدائق أعين   عليّ وحتى في الرياحين نمّام

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

وأهيف ينهب ارواحنا   ووجهه كالروض بسام
تنمّ خدّاه بقتل الورى   فخده ورد ونمّام

ومن لطائف بدر الدين يوسف قوله

الروض احسن ما رأيـ   ـت اذا تكاثرت الهموم
تحنو عليّ غصونه   ويرق لى فيه النسيم

ومن لطائف قوله

حلا نبات الشعر يا عاذلى   لما بدا في خده الاحمر
فشاقني ذاك العذار الذي   نباته احلى من السكر

ومثله في اللطف قوله

شوقي اليك على البعاد تقاصرت   عنه خطاى وقصرت أقلامى
واعتلت النسمات فيا بيننا   مما أحملها اليك سلامى

ومن نكته البديعة التضمين قوله

وذى قوام أهيف   بين الندامى قد نشط

قام ينط شمعة فهل رأيت الظبي قط

ومنه قوله

لك مبسم عذب اللمى ينثر عن برد وسلسال الرضاب مرادي
وفم يحاكي الميم الا انه كم حوله عين تحوم كصاد

وهذا المعنى ايضاً تطفل عليه جماعة منهم ابن نباتة فقال

يا عين آمالي اذا استجمعت اني الى مورد لقياك صادْ

ومن نظم بدر الدين بن لؤلؤ قوله

قد أخلقني الغواني غير راحمة ومحقتني الليالي بعد ابدار
فكم اواري غرامي من جوىً واسىً زناده تحت اثناء الحشا واري
جيراننا كنتمُ بالرقمتين فمذ بعدتمُ صار دمعي بعدكم جاري

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بروحي جيرة أبقوا دموعي وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كأنا للمجاورة اقتسمنا فقلبي جارهم والدمع جاري

وما احلى قول بدر الدين من القصيدة المذكورة في الخمر ولم يخرج عما نحن فيه من التورية

سارت لتقتصّ من قوم فما برحت في حث كأس على الاوتار دوّار
فالنوم من بعض قتلاها وما ظلمت وانما أُخذت منهم باوتار

ومن هنا اخذ القاضي امين الدين الحمصي كاتب السر بالشام فقال

وقوس حاجبه يصمي كأن له مطالبات على قلبي باوتار

ويطربني قوله من قصيدة

فلما تفرقنا كأنى وما لكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
فاتبعته قلبًا مطيعًا على الغضا وخلفت لي جفنًا على السفح اطوعا

ومن لطائفه الغريبة قوله

رفقًا بصب مغرم ابليته صدًا وهجرا
وافاك سائل دمعه فرددته في الحال نهرا

هذا النهر ورد منهُ المتأخرون قاطبة ولولا طول الشرح لذكرت ذلك ومن لطائف قوله

ياعاذلي فيهِ قل لي اذا بدا كيف أسلو
يمرّ بي كل يوم وكلما مرّ يحلو

ومن لطائف اتفاقاته ونكته الغريبة قوله في نجم الدين بن اسرائيل وقد هوى مليحًا يلقب بالجارح

قلبك اليوم طائر عنك ام في الجوانح
كيف يرجى خلاصه وهو في كف جارح

وكتب اليهِ وقد بلغه انهُ سلا عن معشوقه المذكور

خلصت طائر قلبك العاني اسىً من جارح يغدو بهِ ويروح
ولقد يسرّ خلاصة ان كنت قد خلصته منـه وفيه روح

ومن مخترعاته الغريبة قوله في الخمرة

ابدى الحباب لنا خطاً فاحسن ما قد كان حرّر من ميم ومن هاء
قديمة ذاتها في روض وجنتها كانت وكان لها عرش على الماء

ومن هنا اخذ الصاحب فخر الدين مكانس فقال

فاستمهدت دوحها المخضل وافترشت نجم الربا وَرَقَتْ عرشًا على الماء

ولكن لم تساعده في لفظة العرش اشتراك تورية بالنسبة الى الشيخ بدر الدين فان نسبة العرش الى الكروم معروفة ومنهُ قوله في مليح نجار

بروحيَ نجار حكى الغصن قدّه رشيق التثني أحور الطرف وسنان
يميل على الاعواد قطعًا بما جنت وما سرقت من قدّه وهي اغصان

ومن هنا اخذ جميع الناس فقال من قال

قد لمت ذا الاهيف النجار وهو على اا ... اشجار بقطع في اغصان خلاف

فقال لي عندها ثار تحد بو ... لأنها سرقت من لين اعطافي

وممن احيى مادرس من رسوم التورية القاضي محيي الدين بن قرناص الحموي رحمه الله فمن نكته اللطيفة قوله

سقيًا له روضًا قدود غصونه ... تختال في الابراد من أوراقها

جنت بو ورق الحمام صبابة ... أوما ترى الاغلال في اعناقها

وقوله منذ اتينا نبغي زيارة دوح ... قد حبانا بالجود والاكرام

ناولتنا ايدى الغصون ثمارا ... اخرجتها لنا من الاكمام

ومثاله قوله وتلطف

قد اتينا الرياض حين تجلت ... وتحلت من الندى بجمان

ورأينا خواتم الزهر لما ... سقطت من انامل الاغصان

ومنه قوله ورب نهر له عيون ... تحار في حسنه العيون

لما غدا الريق منه عذبا ... مالت الى رشفه الغصون

ومنه قوله أياحسنها روضة قد غدا ... جنوني فنونًا بافنانها

اتى الماء فيها على رأسه ... لتقبيل اقدام اغصانها

ومنه قوله تثنى الغصن اعراضًا وعجبا ... على نهر يذوب اسىً عليه

فرقّ له النسيم وجاء يسعى ... ملاطفة وميّله اليه

ومنه قوله وتلطف

ويوم قد قطعناه بروض ... يضاحك زهره شمس النهار

فكان نهارنا طلق المحيا ... صبيح الوجه مخضرّ العذار

ومنه قوله

انعم فان الدوح يا ما لكي ... حُوِّل من أجلك ما لا يطيق

برقبك الطير على وكره واعين الازهار نحو الطريق

وهذا المعنى اخذه الصاحب فخر الدين بن مكانس وزنًا وقافية فقال

والنرجس الغض غدا شاخصا فلا يخلى عينه للطريق

ومنهُ قوله وتلطف

لو كنت اذ نادمت من احببته في روضة اطيارها تترنم

لرأيت نرجسها بغض جفونه عنا وثغر اقاحها يتبسم

ومنهُ قوله في معذر

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها وآسه الآس ذاك العارض النضر

كأن موسى كليم الله أقبسها نارًا وجرّ عليها ذيله الخضر

وهذا المعنى استعمله بعضهم في شجرة النارنج ولكن لم اعلم المخترع من هو

نارنجة برزت في منظر عجب زبرجد ونضار صاغه المطر

كأن موسى كليم الله أقبسها نارًا وجرّ عليها ذيله الخضر

ومنهُ قوله

وروض قد اتت فيهِ معانٍ يطيب بهِ الندامى والمدام

يسامره النسيم اذا تغنت حمائمه ويسقيه الغمام

ومن لطائف قوله

روضة من قرقف انهارها وغناء الورق فيها بارتفاع

لا تلم أغصانها ان سكرت فهي ما بين شراب وسماع

ومن لطائف اغزاله قوله

هويت في مكتب غلامًا قلبي بهجرانه جريح

أهيف أضحى قبيح حظ وانما شكله مليح

ومنهُ قولهُ في مليح مؤذن

ومؤذن أضحى كريمًا وجهه لكنه بالوصل أي شحيح

ابدًا اموت بهجره لكنني من بعد ذاك اعيش بالتسبيح

ومنهُ قوله

قبلت خط عذاره لما بدا وهصرت لين قوامه المياس
وطلبت لي من خدهِ المحرما يشفي قواي فجاءني بالآس (ى)

وهذه النكتة توارد هو وشمس الدين محمد بن العفيف عليها فقال

من يعطف نحو قلب هذا القاسي كم اذكره وهو لعهدي ناسي
اشكو سقمي لعارضيه وكذا يشكو دنف سقامه للآسي (س)

وتطفل بعدهما الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال

كم جرح القلب منهُ جفن كالسيف في صحة القياس
وطبَّ آس العذار جرحي فصح ان الطبيب آسي

ونظمتها انا ولكن زدتها نكتة اخرى فترشحت وازدادت حسنًا وهي قولي

مذ جناني ممرض القلب ولم الق للضعف وللكسر انجبارا
قلت للعارض يا آسي اذا درت داري مرض القلب فدارا

ومن لطائفه في اغزاله قوله

ان الذين ترحلوا نزلوا بعين ناظره
أنزلتهم من مقلتي فاذا همُ بالساهره

وهذه النكتة ايضًا ابتذل المتأخرون حجابها كثيرًا ومن ظرافات شمس الدين محمد بن العفيف المشهور بالشاب الظريف قوله

اذا حاولت حل البند قالت معاطفه حمانا لا يحل
وان جليت بوجنته مدام ترى لعذاره دور وتزل

وسبك ايضًا تورية الدور في قالب آخر وجاء في غاية اللطف والغرابة بقوله

لحاظك اسياف ذكور فما لها كما زعموا مثل الارامل تغزل
ومال برهان العذار مسلمًا ويلزمه دور وفيهِ تسلسل

ومنهُ قوله فيما يكتب على كأس وإجاد

ادور لتقبيل الندامى ولم ازل   اجود بروحي للندامى وانفاسي
واكسو اكف الشرب ثوبًا مذهبًا   فمن اجل هذا لقبوني بالكاس (ى)

ومن هنا اخذ الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة فقال

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي   وحظيت بعد الهجر بالايناسى
وكسا العذار الخدَّ حسنًا فاسقني   واجعل حديثك كلهُ في الكاس (ى)

ويعجبني قوله وقد اهدى مجموعًا وهو

يا ايها الصدر الذي وجه العلا   منهُ يزان بمنظر مطبوع
لا تعتقد قلبي يحبك وحده   ها قد بعثت لسيدى مجموعى

ونكتة المجموع استعملها الشيخ جمال الدين وغيره ومن نكته البديعة التي لم يسبق اليها قوله

كان ما كان وزالا   فاطّرح قيلا وقالا
ايها المعرض عنّا   حسبك الله تعالى

وهذه النكتة اخذها صاحبنا المرحوم مجد الدين بن مكانس بنصها فقال من قصيدة

ياغصنًا في الرياض مالا   حملتني في هواك ما لا
يا رائحًا بعد ما سباني   حسبك رب السما تعالى

ومن لطائف قوله في مليح رسام

قلت لرسامكم   بلك الفؤاد مغرم
قال متى اذيبه   فقلت حين ترسم

ومن لطائفه واختراعاته قولهُ

قامت حروب الزهر ما   بين الرياض السندسيه
واتت باجمعها لتغــزو روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لأنَّ الورد شوكته قويه

ومن لطائفه ايضًا قوله

يا ساكنًا قلبي المعنّى　　وليس فيهِ سواه ثانى
لاي معنى كسرت قلبي　　وما التقى فيهِ ساكنان

ومن لطائفه ايضًا قولهُ

اني لاشكو في الهوى　　مـــا راح يفعل خدّه
ماكان يدرى ما الجفا　　لكن تفتح ورده

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال ولكنه زاده نكتة اخرى

اقول لهُ ما كان خدّك هكذا　　ولا الصدغ حتى زال في الشفق الدجا
فمن اين هذا الحسن والظرف قال لي　　تفتح وردي والعذار تخرجا

ومن نكته البديعة قولهُ

قد تعشقت خلافيـــا ولي فيهِ معانى
كلما جادلنى العا　　ذل فيـــه ولحانى
جئته من عارضيه　　بدليل الدوران

ومن اختراعاته اللطيفة قولهُ في مليح خيالى

خيالى اخاف الهجر منهُ　　ولست اراه يرغب عن وصالى
وكنت عهدتنى قدمًا شجاعًا　　فمالى صرت افزع من خيالى

وقال في زهر اللوز

تبسم زهر اللوز عن طيب نشره　　واقبل في حسن يجل عن الوصف
هلموا اليهِ بين قصف ولذة　　فان غصون الزهر تصلح للقصف

ومنهُ قولهُ

تمشى بصحن الجامع الشادن الذي　　على قده اغصان بان النقا تثنى
فقلت وقد لاحت عليهِ حلاوة　　الا فانظروا هذى الحلاوة في الصحن

وقال　يا ذا الذي نام عن غرامى　　ونبه الوجد والجوى لى

جفني جرى طيه دموعي   شوقًا الى وجهك الهلالي

ومن اختراعاته الغريبة قوله

عبتم على المحبوب حمرة شعره   واظنكم بدليله لم تشعروا
لا تنكروا ما احمرّ منهُ فانهُ   بدمـاء ارباب الغرام مظفر

وقال في مليح زجّاج

قولوا لزجاجكم ذا الذي   لهُ محيا بالسنا يسفر
ان كنت في الصنعة ذا خبرة   وكان معروفك لا ينكر
فما لاحداقك اقداحها   في صحة من جفنها تكسر

وقال ايضًا في عجانة

كلف الفؤاد بظبية عجانة   ما كنت يومًا آمنا من هجرها
عجنت فؤادي بالغرام فماؤها   من ادمعي ودقيقها من خصرها

وهذا المعنى تلاعب بهِ جماعة بعد ابن عفيف ولكن ما برح دقيقه خاصًا

وقال في ذم الحشيشة

ما للحشيشة فضل عند آكلها   لكنه غير مصروف الى رَشَدهْ
صفراء في وجهه خضراء في فمه   حمراء في عينه سوداء في جسده

وقال في مليح اصيبت عينه

كان بعينين فلما طغى   بسحرها رد الى عين
وقال من لطف بعاشقه   ما يضرب الله بسيفين

وتورية السيف تناولها الجماعة بعد ابن العفيف ولولا خشية الاطالة لذكرت غالبها وقال في مليح بدوي

بدوي كم جدلت مقلتاه   عاشقًا في مقاتل الفرسان
ذو محيا يقول يا لهلال   ولحاظ تقول يا للسنان

وقال في مليح جرح بسكين

لم تجرح السكين كف معذبي الأَّ لمعنى في الغرام بحقق
هي مثل ما قد قيل جارحة لهُ ولكل جارحة اليو نشوق

وقال في مليح موذن في جامع الاموي

فديت موذنًا تصبو اليهِ بجامع جلّق منا النفوس
يطير النسر من شوق اليه ونهوى ان تعانقه العروس

هذان البيتان توارد على نكتتهما شمس الدين بن العفيف والشيخ جمال الدين بن نباتة ورأيتهما في ديوانه والبيت الاول بنصه والبيت الثاني فيهِ بعض تغيير وهو

لقد زف الزمان لنا مليحًا يكاد بان تعانقه العروس

وقال في مليح منير

منير وجدي بهِ اكتمه ويظهر
وكيف تخفى لوعتي وقد غدا ينير

وقال يصف بساطًا

بساط يملأ الاحداق حسنًا ويهدى للقلوب بهِ سرورا
ويشرح حين يبسط كل صدر وخير البسط ما يرضى الصدورا

وقال من الدوبيت

الصب بحسنكم عراه الوله في طوع هواكم عصى عذله
ايضاح غرامه غدا تكمله اذ كان مفصل الهوى مجمله

وقال ايضًا

افدى عربًا حلوا بوادي الجزع يا وحشة ناظري لهم في الربع
لما بخلوا عندي في فرقتنا انشأت لهم رسائلا من دمعي

ومنهُ قوله

يقول وقد رنا عن لحظه ظبى وهز الغصن في ورق الغلائل

أأقتلكم بطرفي ام بعطفي   فقلت بما تشا فالكل ذابل

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بجناني المصر في آداب اهل العصر الذي جمعهُ من املاء الشيخ اثير الدين ابي حيّان انشدني الشيخ ابو حيّان قال انشدني الشيخ شمس الدين محمد ابن العفيف في مليح طباخ

رب طباخ مليح   فاتن الطرف غرير
ما لكي اصبح لكن   شغلوه بالقدور   (ى)

قال الشيخ صلاح الدين وانشدني الشيخ اثير الدين قال انشدني شمس الدين ابن العفيف لنفسه

ليس خابليا ولكنه   يضرم في الاحشاء نار الخليلْ
يا ردفه جرت على خصره   رفقًا بهِ ما انت الاّ ثقيل

وهذه النكتة تلاعب بها غالب المتأخرين بعد ابن العفيف ومن لطائف قوله وقد احتجب بعض اصحابه عنهُ

ولقد اتيت الى جنابك قاضيًا   باللثم للعتبات بعض الواجب
واتيت اقصد زورة احيي بها   فرددت يا عيني هناك بحاجب

وهذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة بقافيتها فقال

حجبتني فازددت عندي علاً   برغم من اقبل كالعاتب
وقلت لا اعدم من سيدي   من كان عيني فغدا حاجبي

والم الشيخ زين الدين بن الوردي بهذه النكتة ولكن سبكها في غير هذا القالب بقوله

زرتكم صحبة وودا   الفيتكم مغلقين بابا
سعيي الى بابكم جنون   عاده استوجب الحجابا

ومن لطائف اغزاله قوله

وكم يدّعى صونًا وهذى جفونه   بفترتها للعاشقين تواعد
وكم يتجافى خصره وهو ناحل   وكم يتحالى ريقه وهو بارد

ومن هنا اخذ الشيخ صفي الدين الحلي وليته ما قال

فما فيهِ شيءٌ ناقص غير خصره   وما فيهِ شيءٌ بارد غير ريقه

ومنهُ قوله

ايسعدني ياطلعة البدر طالع   ومن شقوتي خط بخدك نازل
ولو ان قسًّا واصف منك وجنة   لا عجزه نبت بها وهو باقل

ولكن ما صبر الشيخ جمال الدين بن نباتة عنها لحسنها فقال من قصيدة

تطاولت الاغصان تحكي قوامه   وعند التناهي يقصر المتطاول
واعيا فصيح الوقت نبت عذاره   وعيَّر قسًّا بالفهاهة باقل

وكذلك الشيخ زين الدين بن الوردي لم يصبر عنها حتى قال

وبي اغيدمن حسنه البدر خائف   على نفسه والنجم في الغرب مائل
فلو رام قس وصف باقل خدّه   لعيّر قسًّا بالفهاهة باقل

ومن لطائف قوله

يا خاله خضرة بعارضه   حرسنها عن متيم مغرى
كيف عن العاشقين مقتصرا   هل انت الاَّ حوبرس الخضرا

ومن نكته الغريبة قولهُ

زار وجيب الظلام منسدل   فانشق ثوب الدجا عن الفجر
وبت من صدغه ومبسمه   اجمع بين الحشيش والخمر

هذه النكتة اخذها الشيخ زين الدين بن الوردي بمعناها فقال

ومليح قال جهرا   يا نفوس الناس عيشى
من رضابي وعذارى   بين خمر وحشيش

ومن لطائف نكت ابن العفيف قوله

وافى بوجهٍ كالهلال مركب   في قامة غصنية هيفاء
وبِمقلة خفق الفؤاد وقد رنت   وكذا الجنون يكون من سوداء

ومن لطائف اختراعاته قوله

بدا وجهه من فوق اسمر قده　　وقد لاح من سود الذوائب في جنح
فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى　　وقد طلعت شمس النهار على رمح

ومن قوله والنكتة غريبة وبديعة

اسكرني باللفظ والمقلة الـ　　ـكحلاء والوجنة والكاس
ساق يريني قلبه قسوة　　وكل ساق قلبه قاس　(ى)

ومن لطائف قوله

يا باعثا شعره انتشارا　　بقامة ما لها نظير
الموت من ناظريك لكن　　من شعرك البعث والنشور

ومن لطائف قوله في مليح اسمه مالك

مالك قد احل قتلي برمح الـ　　ـقد منه وراح قلبي طعينه
ليس يفتي سواه في قتل صب　　كيف يفتى ومالك في المدينه

ومنه قوله مع حسن التضمين

جلا ثغرا وأطلع لى ثنايا　　يسوق بها المحب الى المنايا
وانشد ثغره يبغي افتخارا　　انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن لطائف قوله

بأبي شادن غدا الوجه منه　　يخجل النيرين في الاشراق
سلب القضب لينها فهي غيظا　　واقفات تشكوه بالاوراق

البيت الثاني بلفظه ومعناه نقل لابن عبد الظاهر والله اعلم ايهما السابق وابتذل حجابه بعد ذلك المتأخرون منهم الشيخ زين الدين بن الوردي بقوله

قدّه جار اعتدالا　　فله فتك ونسك
سلب الاغصان لينا　　فهي بالاوراق تشكو

ومن نكته الغريبة قوله

ومستتر من سنا وجهه   بشعر لما ذاك الغصن فيّ
كوى القلب مني بلام العذار   فعرفني انهـا لام كيّ

ومن لطائف قوله

كأنني واللواحي في محبته   في يوم صفين قد قمنا بصفين
وكيف نطلب صلحًا او موافقة   ولحظه بيننا يسعى بسيفين

ومن نكته التي تلطف بها وتطفل الناس بعده عليها قوله

بأبي افدي حبيبًا   تيم القلب غراما
عذر العاذل فيه   مذ رأى العارض لاما

وقال لولم تكن إبنة العنقود في فمه   ما كان في خدّه القاني ابو لهب
تبت يدا عاذلي فيه فوجنته   حمالة الورد لا حمالة الحطب

اخذه ابن نباتة فقال

جماله الحلى والديباج قامته   تبت غصون الربا حمالة الحطب

قلت ورد ابن العفيف اغلى من ديباجة ابن نباتة من حيث المناسبة الادبية وهذه النكتة اغار عليها المعمار بقوله

تعرض البدر يحكى حسن صورته   فراح منكشفا وانشق بالغضب
وبانة الجزع ماست مثل قامته   تبت وقد اصبحت حمالة الحطب

وممن احسن المباشرة في نظم التورية سيف الدين بن المشد فمن نكته البديعة الغريبة قوله عفى عنه

مسكية الانفاس تملى الصبا   عنها حديثًا قط لم يملل
جننت لما ان سرى عرفها   وما ترى من جن بالمندل

ومن لطائف قوله

ومجلس راق من واش يكدره   ومن رقيب له في اللوم ايلام

ما فيه ساع سوى الساقي وليس به   على الندامى سوى الريحان نمام

هذه النكتة تقدمت للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي وذكرت من اغار عليها من الجماعة ولكن الامير سيف الدين بن المشد زادها نكتة اخرى بديعة واستعملها أحسن من الجماعة ومن لطائفه قوله

وشادن أوردني هجره   لهيب حرّ الشوق والفرقه
أصبحت حرّان الى ريقه   فليت لي من قلبه رقّه

وهذه النكتة نظمتها في مبادي العمر ولم اقف على قول ابن المشد الاّ في الديار المصرية فقلت

ارشفني ريقه وعانقني   وخصره يلتوى من الدقه
فبت من خصره وريقته   أهيم بين الفرات والرقّه

ومن لطائفه قوله في يوم غيم

في يوم غيم من لذاذة جوّه   غنى الحمام وطابت الانداء
والروض بين تكبر وتواضع   شمخ القضيب به وخرّ الماء

ومن لطائف قوله

اذن القمريّ فيها   عند تهويم النجوم
فانثني الغصن يصلّي   بتحيات النسيم

ومن لطائف قوله

لئن صرفتَ وحاشا   ك فالدنانير تصرفْ
وما اعتقلت كريمًا   الاّ وأنت مثقفْ

ومن لطائف قوله

الحمد لله في حلّي ومرتحلي   على الذي نلت من علمي ومن عملي
بالامس كنت الى الديوان منتسبًا   واليوم اصبحت والديوان ينسب لي

ومن لطائف قوله

لعبت بالشطرنج مع شادن   رشاقة الاغصان من قدّه

احل عقد البند من خصره والثم الشامات من خدّه

(قلت) تورية الشامات رخصها المتأخرون بعد سيف الدين ابن المشد وممن تلاعب بها ابن نباتة بقوله

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت في شكله من معاني الحسن اشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة والخدّ فيه لقتل الناس شامات

انتهى ما تخيرته ووعدت بايراده في نظم التورية من كلام هذه العصابة التي مشت تحت العصائب الفاضليه* وصار لها من بعده في باب التورية اعظم رويّه* وقدمت امامهم الذي صلت الجماعة خلفه وهو القاضي الفاضل وبعده القاضي السعيد بن سنا الملك والشيخ سراج الدين الورّاق وابو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامي وناصر الدين حسن ابن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وهذه الغرر التي تقدمت بعد القاضي الفاضل بالديار المصرية* واما الغرر الشامية فامام جماعتها شيخ شيوخ حماة شرف الدين عبد العزيز الانصاري وبعده مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي ومحيي الدين بن قرناص الحموي وشمس الدين محمد بن العفيف التلمساني وسيف الدين بن المشد وعجبت من الشيخ صلاح الدين الصفدي كيف أخل في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام بذكر الشيخ علاء الدين علي بن المظفر الكندي الشهير بالوداعي وهو أشهر من قفا نبك في نظم التورية بل هو امرؤ قيسها وكنديها* واذا ذكر شرف نسبها فانه علويها* وانتقل من حلب الى دمشق المحروسة وعاصر الجماعة المذكورين ومولده سنة أربعين وستمائة ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة وكانت مدة حياته ستا وسبعين سنة ومولد السراج الورّاق سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وتسعين وستمائة وكانت مدة حياته ثمانين سنة ومولد أبي الحسين الجزار سنة احدى وستمائة ووفاته سنة أثنتين وسبعين وستمائة فمدة حياته احدى وسبعون سنة ووفاة نصير

الدين الحمامي سنة اربع عشرة وسبعمائة ووفاة ناصر الدين ابن النقيب سنة سبع وثمانين وستمائة ووفاة الحكيم شمس الدين بن دانيال سنة عشرة وسبعمائة ومولد القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنتين وتسعين وستمائة فمدة حياته اثنتان وسبعون سنة ومولد شيخ الشيوخ الانصاري سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة فمدة حياته خمس وسبعون سنة ووفاة مجير الدين بن تميم سنة احدى وثمانين وستمائة ووفاة بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي سنة ثمانين وستمائة ومولد شمس الدين بن العفيف سنة اثنتين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة فمدة حياته خمس وعشرون سنة ومولد سيف الدين بن المشد سنة اثنتين وستمائة ووفاته سنة خمس وخمسين وستمائة فمدة حياته ثلاث وخمسون سنة * وجل القصد من ذلك تحقيق الواقف على هذا الشرح ان الشيخ علاء الدين الوداعي عاصر الجماعة أو غالبهم وقد تقدم قولي في شرح بديعيتي الموسومة بتقديم ابي بكر فاني عارضت بها حاليًا وموصليًا ان الشيخ علاء الدين سلك التورية في قوالب لم يسبقه من الجماعة احد اليها * ولا حام طائر فكره عليها * ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباتة وهو الذي مشت ملوك الادب قاطبة بعد القاضي الفاضل تحت اعلامه تطفل على موائد نكت الوداعي ومعانيه وعدّ الانواع الغريبة من تواريه فمن موائده التي تطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة قوله

انحنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء
زاد في عشقها جنوني فقالوا ما بهذا فقلت بي سوداء

اخذه ابن نباتة وقال

قام يرنو بمقلة كحلاء علمتني الجنون بالسوداء

والشيخ جمال الدين بن نباتة ادرك اواخر الوداعي وقد تقدم مولده ووفاته ومولد الشيخ جمال الدين بن نباتة سنة ست وثمانين وستمائة وتوفي سنة ثمان وستين

وسبعمائة فمدة حياته إثنان وثمانون سنة وعلى هذا كان سن الشيخ جمال الدين بن نباتة عند وفاة الوداعي ثلاثين سنة ومما يعطف به على ما تقدم من قول الوداعي قوله

اذا رأيت عارضًا مسلسلا ... في وجنة كجنة يا عاذلي
فاعلم يقينًا انني من امة ... تقاد للجنة بالسلاسل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

أفدي الذي ساق اليها مهجتي ... فرع طويل تحت حسن طائل
قلبي بصدغيها الى طلعتها ... يقاد للجنة بالسلاسل

ومن ذلك قول الشيخ علاء الدين الوداعي

لقد سمح الزمان لنا بيوم ... غدا فيه السمي مع السمي
تجمعنا كأنا ضرب خيط ... عليّ في عليّ في عليّ

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

علوت اسما ومقدارا ومعنى ... فيا لله من حسن جليّ
كأنكم الثلاثة ضرب خيط ... عليّ في عليّ في عليّ

وقال الوداعي

من آخذ من خدّه ... بدم الشهيد المغرم
فالريح ريح المسك منـــه ولونه ... لون الدم

أخذه ابن نباتة وقال

لا تنكر الكاسر من جفنه ... دم الشهيد الصابر المغرم
فالريح ريح المسك من خدّه ... كما ترى واللون لون الدم

وقال الوداعي

يفتن بالفاتر من طرفه ... وريقه البارد يا حار

أخذه ابن نباتة وقال

لو ذقت برد رضاب من مقبّله ... يا حار ما لمت اعضائي التي ثملت

مع ان الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر وقال الوداعي

قيل ان شئت أن تكون غنيا فتزوج ولكن من المحصنينا
قلت ما يقطع الاله بحرّ لم يضع بين أظهر المسلمينا

أخذه ابن نباتة وقال

قال لي خلي تزوّج تسترح من أذى الفقر وتستغني يقينا
قلت دع نصحك واعلم انني لم أضع بين ظهور المسلمينا

قلت ان قافية محصنين اصدق من يقين ابن نباتة عفي عنهُ قال الوداعي

ياعاذلي في النكاريش اطرح عذلي واعذر فعذرى لديهم واضح حسن
فالمرد ان حاولوا حربي بهجرهم اذًا لقام بنصرى معشر خشن

أخذه ابن نباتة وقال

لو آذنت لىَ عذالي بحربهم اذ في النكاريش قد أصبحت هيمانا
اذا لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

وقال الوداعي

عذب مقبله وحلو لحظه اوما تراه بالنعاس معسلا

أخذه ابن نباتة وقال

معسل بنعاس من لواحظه اما تراها الى كل القلوب حلت

وقال الوداعي

الحاظه وهي السيوف كليلة ويكون تعذيب الكليلة أطولا

أخذه ابن نباتة فقال

بليت به ساجي اللحاظ كليلها وما زال تعذيب الكليلة أطولا

وقال الوداعي والنهر كالمبرد يجلي الصدا ببرده عن قلب ظمآنه

أخذه ابن نباتة فقال

والنهر فيه كمبرد فلأجل ذا يجلو الصدا

قلت نهر ابن نباتة نقص عن نهر الوداعي وكل مبرده عن نكتة ببرده فان الشيخ جمال الدين حط مكانها في بيته فلأجل ذا فشتان بين الحشو والنكتة البديعة الغريبة قال علاء الدين من قصيدة

ما كنت أول مغرم محروم　　من باخل بادي النفار كريم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

مبخل يشبه ريم الفلا　　ياطول شجوى من بخيل كريم

وقال علاء الدين الوداعي

بروحي غزال راح في الحسن جنة　　نعشقته أعمى فهمت من الوجد
اذا ما تبدى قائدًا بيمينه　　تيقنت حقًّا انه جنة الخلد

اخذه ابن نباتة بالقافية فقال

أفديه أعمى مغمدا لحظه　　ليرتعي في خدّه الوردى
تمكنت عيناي من وجهه　　فقلت هذى جنة الخلد

وقال الشيخ علاء الدين الوداعي

بخلت عليّ بدرّ مبسمها　　فغدت مطوقة بما بخلت

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم　　فغدت مطوقة بما بخلت به

هذه النكتة استحقها الشيخ تقي الدين فسح الله في اجله على الشيخ علاء الدين الوداعي والشيخ جمال الدين ابن نباتة فانه زادها نكتة اخرى كملت محاسنها ورفلت بها في حال التورية بقوله

ناحت مطوقة الرياض وقد جرى　　دمعي الملوّن بعد فرقة حبه
لكن بتلوين الدموع تباخلت　　فغدت مطوقة بما بخلت به

وقال علاء الدين الوداعي من قصيدة في مغلي

وما يبرى هوى المشتا　　ق الا ذلك المغلى

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

من المغلى اشكو نحوه ألم الجوى   وطب الهوى عندي كما قيل بالمغلى

قال علاء الدين الوداعي

يا نديمي والذي عاهدني   انهُ عن شربها لن يقصرا
اسقني صرفًا ودع عذالنا   يضربون الماء حتى يخصرا

وقال ابن نباتة مكتفيا

اسقني صرفا من الرا   ح تحتَّ الهم حتًّا
ودع العذال فيهـا   يضربون الماء حتى

وقال علاء الدين الوداعي

يا للهوى صعدة عليها لواء   كل طعنات نصلها نجلاء
لاتخل عندها سماعًا لشكوى   فلهذا قالوا لها صمّاء

وقال ابن نباتة من قصيدة

وعدت بطيف خيالها اسماء   ان كان يمكن ناظري اغفاء
يامن يطيل من الجوى لقوامها   شكواه وهي الصعدة الصماء

وقال علاء الدين الوداعي

بالجنك من مغنى دمشق حمائم   في دف اشجار تشوق بلطفها
فاذا اشار لها الشجيُّ بكأسه   غنت عليه بجنكها وبدفها

أخذه ابن نباتة فقال

يا ربوة اطربتني   وحسنت لي هتكي
اذ لست ابرح فيهـا   ما بين دف وجنك

ولعب صلاح الدين الصفدي بهذا الدف والجنك

انهض الى الربوة مستمتعا   تجد من اللذات ما يكفي
فالطير قد غنى على عوده   في الروض بين الجنك والدف

قال الوداعي

في حشاه للشوق نار تلظى ... وبفيه حفظاً لسرك ماء

أخذه ابن نباتة فقال

فيا عجباً مني لانسان مقلتي ... يحدث أخباري وفي فمه ماء

ومن نكت الوداعي في العود الذي اخذه منه الشيخ صلاح الدين وابن نباتة واستعملاه بلا أوتار.

والروض يهدى مع نسيم الصبا ... نشر خزاماه وريحانه

وراسل القمرى ورقاءه ... شدوا على اوتار عيدانه

وقوله من هذه القصيدة مشيراً الى رأس العين

يا حادي الاظعان ان شارفت ... من بعلبك سفح لبنانه

فاقرأ تحياتي على نازل ... في محجر العين كانسانه

ومن غرائب نكتي في رأس العين

ولما نزلنا بعلبك تفكهت ... عيوني وادواتي وصلت على البين

وطالبتها يوماً بروية مرجها ... وخضرته قالت على الرأس والعين

وقال الوداعي رحمه الله

يا جيرة بالغوير قد نزلوا ... لله من جيرة ونزال

ما عطل الجفن بعد فرقتكم ... من دمعه فاكشفوا عن الحال

أخذه ابن نباتة فقال

حلوا بعقد الحسن اجيادهم ... وحاولوا صبري حتى استحالْ

فآه من عاطل صبر مضى ... والحمد لله على كل حال

وقال الوداعي

قالت الورق اذ شدا ... فشجاها وشوقا

ما رأينا مقرطقا ... قبل هذا مطوقا

قوله ايضاً ياجنة كوثرها رضابه المروّق
وفوق غصن قدّه عذاره مطوّق

(قلت) ان الذي يظهر لي ان التورية في المطوّق من اختراعات الشيخ علاء الدين الوداعي وتطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة حتى في تسمية كتابه ومن قوله

طوّق جيد الوزير جيدى فلست عن مدحه اعوّق
أسجع بالمدح في علاه لا غروَ أن يسجع المطوّق

وقال علاء الدين الوداعي

لي من الطرف كاتب يكتب الشو ق اليه اذا الفؤاد أمله
سلسل الدمع في صحيفة خدى هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

اخذه ابن نباتة وقال

قلت للكاتب الذي ما رآه قط الاّ ونقط الدمع شكله
ان تخط الدموع في الخدّ خطا ما بسى اقول خط ابن مقله

وقال علاء الدين الوداعي

قلبي مطيع في هواك وكنت لى من بين دوح الحسن غصن خلاف

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

قاسى الجوانح لين الاعطاف أهواه في الحالين غصن خلاف

وقال علاء الدين الوداعي عفى عنهُ

كيف أقوى بحمل سخط وبعد بعد ما كان من رضا وتدانى
فتكرّم بعطفة والتفات مثل ما في الاغصان والغزلان

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

غزال رمل ولكن غير ملتفت وغصن بان ولكن غير منعطف

وقال علاء الدين الوداعى

قال لي العاذل المفنّد فيها يوم وافت فسلمت مختاله

قم بنا ندّعي النبوّة في العشق فقد سلمت علينا الغزاله

واخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

يا غزالا أهدى السلام الى المغرم لاتنكرنّ حالا لديه
كيف لا يدّعي النبوة في العشق وقد سلم الغزال عليه

اخده الشيخ صفي الدين الحلي وقال

تنبأ فيك قلبي واسترابت قلوب صدهم عنه ضلال
وردهم الهوى أن يؤمنوا بي وقالوا ان معجزه محال
فمذ سلمت سلمت البرايا عليّ وقيل كلمه الغزال

ومن غرائب الوداعي واتفاقاته البديعة قوله على لسان صديق له اسمه عمر هام بمليح في اذنه لؤلؤة

كم قلت لما مرّ بي مقرطق يحكى القمر
هذا ابو لؤلؤة منهُ خذوا ثار عمر

ومن لطائف قوله

تعجبوا لما غدت أدمعي بيضا وراحت كالدم القانى
لا تعجبوا طرفيّ رب الهوى فكل يوم هو في شان

وقوله في مليح بدوي

أقبل من حيه وحيا فأشرقت سائر النواحى
فقلت ياوجه من بني من فقال لي من بني صباح

وقال ايضاً

وليلة خلت مجالسنا سماء وصحبي كالثريا في اجتماع
فبات الطرف يرعى البدر منهم الى ان حل منزلة الذراع

وقولهُ ايضاً

يا غصن نقا أينع بالازهار يا ألطف من نسيمة الاسحار

ريحان عذارك الذي تيمني | من والده من قلم الاشعار

وقوله لما حجب الكرى عن الآماق | وانقاد مع العدا على العشاق
ناديت وقد تزايدت اشواقي | ياغصن رضيت منك بالاوراق

وقوله يا عز والله العزيز الذي | قضى على نفسي باذلالها
ماخطرت من نحوكم نسمة | الاّ تعرضت لتسآلها
ولاسرت منا الى ارضكم | الاّ تمسكت باذيالها

ومن مجونه قوله

لناصاحب قد هذب الطبع شعره | واصبح عاصيه على فيه طيعا
اذا خمّس الناس القصيد لحسنه | يحق لشعر قاله ان يسبعا

ومن غزله مع التضمين

وشادن مثل الضحى وجهه | كتمت عشقي فيهِ خوف الرقيب
حتى بدا ليل عذار لهُ | فبحت والليل نهار الأديب

ومنهُ قوله

كلما رمت فيك انكارحبي | من عذول يزيد في تعنيفي
عرفته لام العذار غرامي | بك واللام آلة التعريفِ

وقوله من مطلع قصيدة

اعيذ ريم الترك بالروم | والصدغ مع فيه بجم
وخدّه المشرق قد صح في | عذاره المعوج تقويمي

ولهُ من قصيدة

وكأن ريق النحل ريقتها | فيها الشفاء لمهجة نحلت

وقولهُ ايضاً

ويوم لنا بالنيرين رقيقة | حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة | فردت علينا بالرؤس غصونه

وقوله وذى دلال اهيف احور أصبح في عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاسانه وقال ساقى قلت في وسطى
وقوله روّ بمصر وبسكانها شوقي وجدد عهدى الخالى
وارو لنا يا سعد عن نيلها حديث صفوان بن عسال
وقوله أهل نجد هل تجدون محبًّا صاده بالغوير ظبى ملول
كم دماء مطلولة في هواه وبها روض خدّه مطلول
وحديث عن السقام صحيح قد رواه عن طرفه مكحول

ومن نكته التي ما حام فكر غيره عليها

وفي اسانيد الاراك حافظ للعهد يروى صبره عن علقمه
وكلما ناحت بـه حمامة روى حديث دمعه عن عكرمه

التورية في علقمة وعكرمة فانهُ اسم من اسماء الحمامة ومن غرائبه وقد توجه من دمشق الى البلقا لزيارة صاحب لهُ يلقب بالشمس فرآه توجه الى حسبان واقام بها فكتب اليهِ يقول

أتيت الى البلقاء أبغى لقاكم فلم اركم فازداد شوقي واشجانى
فقالت لي الاقوام من أنت قاصد لرؤياه قلت الشمس قالوا بحسبان

ومن نكته التي كشف الله عنها الستر

رمتني سود عينيه فاصمتنى ولم تبطى
وما في ذاك من بدع سهام الليل لا تخطى

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

واغيد كل شيء فيهِ يعجبني كأنما هو مخلوق على شرطى
أجفانه السود ما تخطى اذا رشقت سهامها وسهام الليل لا تخطى

انتهى ما أوردته من ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعي ومن غرائب نكته البديعة في باب التورية وأبدت سموّ رتبته بتطفيل مثل الشيخ جمال الدين بن نباتة على

بدائعه وغرائبه ولكن اقول الجزاء من جنس العمل كما اغار الشيخ جمال الدين على نظم الوداعي ودخل الى بيوته وابتذل حجاب بنات فكره فيض الله له الشيخ صلاح الدين الصفدي وما ذاك الا ان الشيخ جمال الدين كان اذا استخرج المعنى الذي لم يسبق اليهِ واسكنه بيتًا من ابياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين بلفظه ولم يفرقه عن البحر وربما عام بهِ في بحر طويل يفتقر فيهِ الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يصبر الشيخ جمال الدين على ذلك وصنف كتابًا سماه خبز الشعير يعني انهُ مأكول مذموم واستهل خطبته بقوله ربّ اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا ورتب كتابه المذكور على قوله قلت فاخذه الشيخ الصلاح وقال فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله قلت

ومولع بفخاخ * يمدها وشراك   فقالت العين ماذا * يصيد قلت كراكِ (ى)

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اغار على سرح الكرى عندما رمى الـكراكى غزال للبدور يحاكى
فقلت ارجعي يا عين عن ورد خدّه   الم تنظريه كيف صاد كراكِ (ى)

قال الشيخ جمال الدين قلت

اسعد بها يا قمري برزة   سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا   فما تعديت عن الواجب

فاخذه الشيخ صلاح الدين فقال

قلت لهُ والطير من فوقه   يصرعه بالبندق الصائب
سكنت في قلبي فحركته   فقال لم اخرج عن الواجب

وقال الشيخ جمال الدين قلت

وبمهجتي رشأ يميس قوامه   وكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخدّه ورآه قد   نعست لواحظه فدب عليه

فاخذه الشيخ صلاح الدين مع القافية فقال

وأهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى ... تميل حمامات الاراك اليه

له عارض لما رأى الطرف ناعساً ... أتى خدّه سرّا فدب عليه

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

يا غادرا لي ولم اغدر بصحبته ... وكان مني مكان السمع والبصر

قد كنت من قلبك القاسي اخال جفا ... فجاء ما خالته نقشاً على حجر

ومن الطف ما وقع للشيخ جمال الدين في الباب انه قال

بروحي عاطر الانفاس المى ... ملي الحسن حالي الوجنتين

له خالان في دينار خدّ ... تباع له القلوب بحبتين

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

بروحي خدّه المحمر اضحت ... عليه شامة شرط المحبه

كأن الحسن يعشقه قديما ... فنقطه بدينار وحبّه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله سرق الشيخ صلاح الدين من الحبتين حبّه ومن نكته الغريبة قوله

فديتك ايها الرامي بقوس ... وطرف يا ضنى جسدي عليه

لقوسك نحو حاجبك انجذاب ... وشبه الشيء منجذب اليه

اخذه الشيخ صلاح الدين وقال وزناً وقافية

تشرط من احب فذبت وجداً ... فقال وقد رأى جزعي عليه

عقيق دمي جرى فاصاب خدي ... وشبه الشيء منجذب اليه

قلت ما اظن الشيخ صلاح الدين غفر الله له لما سمع قول الشيخ جمال الدين ونظم بعده هذين البيتين ما كان في حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخدّ وليته لا تلفظ بالانجذاب بل قال عقيق دم جرى فاصاب خدّي انتهى

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة

يامشتكى الهم دعهُ وانتظر فرجا   ودارِ وقتك من حين الى حين

فلا تعاند اذا اصبحت في كدرٍ   فانما انت من ماء ومن طين

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

دع الاخوان ان لم تلق منهم   صفاء واستعن واستغن بالله

اليس المرء من ماء وطين   وأيّ صفاء لهاتيك الجبلّه

قال الشيخ جمال الدين قلت

احاول صبرًا عن هوى قد كتمته   فلا اجد الصبر المحاول يعذب

والقى به ثوب المشيب مطبعا   فاغسله بالدمع والطبع اغلب

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

يقول الفكر لي دنست ثوب الشباب وفي   هداة الشيب تنعبْ

ونغسله بدمعك كل وقت   وما ينقى لان الطبع اغلبْ

قال الشيخ جمال الدين قلت

اسفت لشاشي الذي قد مضى   وفاز بـه سارق حاشه

ووالله مالي مما جرى   سوى قولهم صفعوا شاشه

أخذه الشيخ صلاح الدين فقال

قد سرق الشاش بليل وما   قدره الله فما يندفع

الحمد لله الذي لم يكن   شاشي على الرأس لما صفع

قال الشيخ جمال الدين قلت

اشكو الى الله ما اكابد من   دمامل مسنى بهـا الضرّ

فالليل عندي من حالها سنة   فما الليلي ولا لهـا فجر

أخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اشكو الى الله من امورٍ   يمرّ عيشي لمـا تمرّ

ودمل مع دوام ليل ما لهما ما حييت فجر

قال الشيخ جمال الدين قلت

بروحي فاتر الاجفان ساج كأن الحسن لفظ وهو معنى
تفرد وهو فتان التثني فيا لله من فرد تثنى

أخذه الشيخ صلاح الدين وقال

سألت النقا والغصن ان يحكيا لنا روادف اعطاف الذي زاد صدّها
فقال كثيب الرمل ما انا حملها وقال قضيب البان ما انا قدها

وقال ايضاً

يقول ردف حبيبي * وقدّه المتثنى ما انت ياغصن قدي * ولا كثيبك وزني

قال الشيخ جمال الدين قلت

لك يا ازرق اللواحظ مرأى يأمر الصب بالغرام وينهى
يا لها من سوالف وخدود ليس تحت الزرقاء احسن منها

أخذه الشيخ صلاح الدين وقال

البسوه عمامة للنصارى قد روى اللازورد في اللون عنها
وجلا طلعة كبدر تمام ليس تحت الزرقاء احسن منها

وقال الشيخ جمال الدين قلت

قد رماني مهفهف القد رام اسهم اللحظ ما اشد وارشق
كلما قلت يفتح الله بالوصـــل رماني من سحر عينيه يغلق

أخذه الشيخ صلاح الدين وقال

سهام طرفك اصمت قلبي ولم تترفق
ما يفتح الجفن الاّ وذهن قلبي يغلق

قلت وقد ورد هنا نبذة مما جناه الشيخ صلاح الدين الصفدي من حدائق الروض النباتي ومقابلة الشيخ جمال الدين له على ما جناه فان نسبني احد الى تحمل

راجعته الى النقل * وان وافق وتعقل الرتبتين فقد اكتفى بشاهد العقل * والا فالا قسماء الصفدية بالنسبة الى القطر النباتي تمجها الاذواق * وها انا قد ابرزت ثمرات الدوحتين بين هذه الاوراق * وللشيخ صلاح الدين ممن وقف على باب الشيخ جمال الدين رحمهما الله تعالى وقوف فقير سائل الاجازة واطال وقوفه على ذلك الباب العالي الى ان حصل له الفتوح واجازه * وها انا اذكر سؤال هذا السائل الذي ود قبل العطا ان يدفع بالتي هي احسن * واشرح كرم المسؤل الذي نثر على سائله الدرر جزافا علمًا بان عطاء كريم لا يؤذن * فسؤال الاجازة من لفظ الشيخ صلاح الدين قوله

الحمد لله على انعامه المسؤل من احسان سيدنا الامام العالم العلامة رحلة اهل الادب * قبلة ذوي التحصين في التحصيل والدأب * الذي تبيت شوارد المعاني صرعى تخوله للطافة تخيله * وتمسى الالفاظ طوع تحوله في التركيب وتحيله * فامسى وله النسيب الذي يضحك من العباس في رقته * ويقيم صريع الغواني الى مقته * بعد مقته * والغزل الذي يشيب له فود الوليد * ويسترق الحرّ من كلام العبيد * والتشبيه الذي لو علمه ابن المعتز لما نصب الهلال فخًا لصيد النجوم * ولو تعاطاه حفيد جريج لقيل له الم تسمع غلبت الروم * والمديح الذي لو بلغ زهيرا لقال ما انا من هذه الحدائق * ولو اتصل نبؤه بالمتنبي لاشتغل عن ذكر العذيب وبارق * والرثاء الذي نقص عنده ابو تمام بعد ان رفع له لواء الشرف والفخر * وقال هذه عذوبة الزلال لا ما تفجر من الخنساء على صخر * والترسل الذي سقى الفاضل كأس الحتوف لما شبه الغمود بالكمام ثم والسيوف بالازهار * واذهله حتى صحت له القسمة في الخيل والخيال بين المراقب والمراقد * واخطأت معهُ في المرابع والمساجد * بين الانواء والانوار والكتابة التي تغدوا الطروس بها كأنها رياض محبره * او سماء بالنجوم زاهره * ان لم ترض ان تكون في الارض رياضًا مزهره

ادب على الحصري يعلو تاجه ولهُ ابن بسام بكي الوانا

وترسل سحبان من قد زاده ... منهُ واعطى الفاضل النقصانا
وكتابة لعلوها في وضعها ... ليس ابن مقلة عندها انسانا
فلكم اخي فضل رأت عيناه في الا ... وراق لابن نباتة بستانا

الشيخ جمال الدين ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة جمع الله بهِ اشتات اهل الادب في دوحة هذه الدولة * ولمّ بهِ شعث ابنائه الذين لاصون لهم ولاصولة * واقام بهِ عمادا بيات الشعر التي لولاها لما عرفت دارمية من اطلال خولة * اجازة كاتب هذه الاحرف فسح الله لهُ في مدته بما لمولانا من رواية المصنفات في الاحاديث النبوية * والتأليفات الادبية * على اختلاف اوضاعها * وتباين اجناسها وانواعها * بحسب ما يؤدي ذلك اليهِ واتصل بهِ من سماع او اجازة او وصيه او وجازة من مشايخ العلم الذين اخذ عنهم واجازة ما لهُ احسن الله اليهِ من قوله نظماً ونثرًا وتأليفًا او وضعًا اجازة خاصة واثبات مالهُ من التصانيف اجازة عامة على احد القولين في المسئلة فان الرياض لا ينقطع زهرها * والبحار لا ينفد درها واثبات مايحسن ايراده في هذه الاجازة من المقاطيع الرائقة * والابيات اللائقة وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلاً في ذلك وكتبه خليل بن ايبك بن عبدالله الايبكي بالقاهرة المحروسة في مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائة والحمد لله وحده * قال الشيخ جمال الدين مجيبًا سؤال الشيخ صلاح الدين الصفدي عفا الله عنهُ

* بسم الله الرحمن الرحيم *

اما بعد حمد الله الذي اذا توجه اليهِ ذو السؤال فاز * واذا استدعى كرمه ذو الطلب اجاب واجاز * والصلاة والسلام على سيدنا محمد كعبة الفضل التي ليس بينها وبين النجح حجاز * وعلى آله وصحبه حقائق الفضل والفضل من بعدهم مجاز * فلو لزم في كل الاحوال تناسب المخاطبة * وكان جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة * لما رضي سجع الحمائم لمطارحته نوعًا من الاطيار * ولا قبل

فصحاء الاول مراجعة الصدى من الديار * ولا قنع غمز حواجب الاحبة برد القلوب الهائمة في اودية الافكار * ولكن نقول الاكابر والاولياء تبذل في الكتابة جهدها وتنفق ما عندها * وتجرد الاماثل سيوف المنطق ولا تتعدى الاتباع من الطاعة حدّها * ولما كنت ايها الراقم برود هذه الاستدعا ببنانه * والمنشئ روض هذا السؤال بآثار السحب من بيانه * والسائل الذي بهرت الافكار فضائله * وسحرت ارباب العقول عقائله * واقام المسؤل معًا ما لبس من أهله فليتق الله سائله * فريد فن الادب الذي لا يبارى * وبحره الذي لا يهدي غائص قلمه الاكبارا * وذا اليد البيضاء فيه الذي طالما آنس من جانب الذهن نارا . وخليله الذي اطلع على اسراره الدقيقه * ورئيسه الذي لو طارح ابن المعتز وتمت ولايته لكان امير المؤمنين على الحقيقه * وناظمه الذي يسري الطائيان تحت علمه المنشور * وكاتبه الذي تبتهج العيدان بالدخول تحت رقه المأثور * طالما شاقه منه القلم وجهًا جميلا وقدرًا جليلا * ولاقى من لا يندم على صحبته فيقول ليتني لم اتخذ فلانًا خليلا * فهو الغرس الذي يقصر عن امالى وصنه الشجري ويفخر الدين والعلم بشخصه ولفظه فهذا يقول غرسي وهذا يقول ثمري . كم اغنى بمفرد شخصه عن فضلا جيل * وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بثينة ومن وجهه جميل * وكم تنزهت الافكار من لفظه بين آسٍ وورد لا بين اذخر وجليل * وكم دام عهده ووده حتى كاد يبطل قول الاول دليلا على ان لا يدوم خليل * تود الشهب لو كانت حصباء غدير طرسه * ويخاف الافق اذا طرز براع دوحه بالظلماء اردية شمسه * ويتحاسد النظم والنثر على ما ينتج مقدمات منطقه من النتائج * وينشد كل منهما اذا حاول القول (خليل الصفا هل انت بالدار عائج) ان كتب اغضى ابن مقلة من الحسد على قذاه * وحمل ابن البواب لحجبه عصا القلم قائلاً ما ظلم من اشبه اباه . وان نحا النحو لبّاه عشرا * ولانت اعطاف الحروف قسرا . وتشاجرت على لفظه الامثلة فلا غرو ان ضرب زيد عمرا * يترجل كلام الفارسي بين

بديه * ويطير ابن عصفور حذرًا من البازي المطل عليه * وان شعر هامت الشعراء في كل واد * ونصبت بيوت النظم على بقاع الشرف كما نصبت نصبت بيوت الاجواد طالما بلد ابيدا * وولى منهُ شعر ابن مقبل شريدا * وقالت الآداب لبحتري لفظه الم نربك فينا وليدا * وان نثر فما الدر اليتيم تحت حجره * ولا الزهر النضير الاما ارتضع من ثدى قطره * وان تكلم على فنون الآدب روى الظما وجلا معاني الالفاظ كالدمى * وقالت الاعاريض لابن احمد واه (خليلي هبَّا بارك الله فيكما) هذا وكم اثنى قديم علم الاوائل على فكره الحكيم * وشهدت رواية الاحاديث النبوية بفضله وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم * بدأتني اعزك الله من الوصف بما قل عنهُ مكاني * وكاد من الخجل يضيق صدري ولا ينطلق لساني * وحملت كاهلي من المنن ما لم يستطع * وضربت لذكري في الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع * وسألتني مع ما عندك من المحاسن التي لها طرب من نفسها * وغمر من غرسها * ان اجيبك واجيزك * واوازن بمثقال كلمي الحديدي ابريزك * واقابل اسنك المنطلق بلساني المحصور * واثبت باستدعائك بيت مال نطقي المكسور . فتحيرت بين امرين . ووقع ذهني السقيم بين داءين مضرين . ان فعلت ما امرت فما انا من ارباب هذا القدر العالي . والصدر الخالي . وما انا من ابناء مصر حتى انقدم لهذا الملك العزيز . وكيف اطالب مع اقتار علمي بان أمدح واجيز . واني لمقيد حظوى هذه الوثبات . واني يماثل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات . وان منعت فقد اسأت الادب والمطلوب حسن الادب مني . واهملت الطاعة التي اقرع بعدها برمح القلم سني . وفاتني شرف الذكر الذي امتلأ بهِ حوض الافق وقال قطني . ثم رجح عندي ان اجيب السؤال . واقابل بالامتثال . صابرًا على تهكم سائلي . معظمًا قدري كما يقال بتعاقلي * منقادًا الى جنة استدعائك بسلاسلي . واجزت لك ان تروي عني ما يجوز لي روايته من مسموع ومأثور . ومنظوم ومنثور . ونقل وتصنيف . وتنضيد وتنويف وماض ومتردد . وآت على رأي بعض الرواة

ومتجدد . وجميع ما تضمنهُ استدعاؤك فاجمع ما يكون من لفظ متردد* كاتبًا لك بذلك خطي . مشترطًا عليك الشرط المعتبر فليكن قولك يا عربي البيان جواب شرطي ذاكرًا من لمع خبري ما ابطأت بذكره وارجو ان ابطئ ولا اخطي . فاما موالدي فهو بمصر المحروسة في ربيع الاول سنة ست وثمانين وستمائة بزقاق القناديل واما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعًا وحضورًا فمن اقدمهم الشيخ شهاب الدين ابو الهيجاء غازي ابن ابي الفضل ابو عبد الوهاب المعروف بالرادف والشيخ عماد الدين ابو نصر عبد العزيز ابن ابي الفرج الحصري البغدادي والشيخ شهاب الدين احمد بن محمد بن اسحاق الابرقوهي* واما الفضلاء والادباء الذين رويت عنهم ورويت منهم فهم القاضي محب الدين ابو عبد الله محمد ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصري والشيخ الامام بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن النحاس الحلبي النحوي والامير الفاضل شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن الصاحب شرف الدين اسماعيل بن المثنى اقترح على ان انظم في زيادة النيل فقلت

زادت اصابع نيلنا وطمت فاكمدت الاعادي
وانت بكل جميلة ما ذي اصابع بل ايادي

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان من اهل منية بني خصيم قرأت عليهِ كثيرًا من الكتب الادبية وكان كثيرًا ما يستنشدني من شعري الى ان انشدتهُ

يا غائبين تعللنا لغيبتهم بطيب عيش فلا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي لياليكم فالكأس في راحة والقلب في تعب

والشيخ العالم شهاب الدين احمد بن محمد المعروف بابن المفسر انشدني لنفسه فقال

لا ارى لي في حياتي راحة ذهبت لذة عيشي بالكبر
بقي الموت لمثلي سترة يا الهي انت اولى من ستر

فانشدته من نظمي

بقلت وجنة الحبيب وولى	زمن فيهِ للصبا كنت املك
يا عذار الحبيب دعني فاني	لست في الزمان من خل بقلك

والشيخ الفاضل الاديب سراج الدين عمر الوراق المصري سمعته ينشد لنفسه رحمهُ الله تعالى

وا خجلني وصحائفي مسودة	وصحائف الابرار في اشراق
وتوقفي لموبخ لي قائل	أكذا تكون صحائف الوراق

والاديب الفاضل نصير الدين الحمامي المناوي انشدني لنفسه

احب من الدنيا اليَّ وما حوت	غزال تبدى لي بكأس رحيق
وقد شهدت لي سنة اللهو انني	احب من الصهباء كل عتيق

فانشدته من نظمي

اني اذا آنست هما طارقا	عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت الفاظ المليح وكأسه	فنعمت بين حديثه وعتيقه

وجماعة يطول ذكرهم* ويعز عليَّ ان يحضرني شعرهم* واما مصنفاتي التي كالياسمين لا تساوي جمعها* ولولا الخزائن السلطانية الملكية المؤيدية تجبرها ما استطعت نصبها ورفعها* فهي كتاب مجمع الفرائد* القطر النباتي* وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون* ومنتخب الهدية من المدائح المؤيدية* وابرار الاخبار وشعار اللبيب التقوى لم يكمل الى الان الارجوزة المسماة فرائد السلوك في مصايد الملوك واجزت لك اعزك الله تعالى روايتها عني ورواية ما ادونه واجمعه بعد ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك ونمقه* ونسخه وحققه* وتضمنه سؤالك الذي تصدقت بهِ فمنك السؤال ومنك الصدقة . والله تعالى يشكر عهدك الجميل . وكلماتك الجزلة وكرمك الجزيل . ويمتع فنون الفضائل الملتجئة الى ظل قلمك الظليل . ولا يعدم الاحباب والاداب من اسمك وسميك خير صاحب وخليل . قال ذلك وكتبه

محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن ابي الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن الطاهر بن محمد بن الخطيب ابي يحيى بن عبد الرحيم بن نباتة الفارقي الحداقي ثم المصري عفى الله عنه وغفر له بمنه وكرمه . انتهى ما اردته من استدعاء الشيخ صلاح الدين وسؤاله وجواب الشيخ جمال الدين واجازته بعد ان علمت دقائق الدرجتين في النظم والنثر واتضح الفرق بينهما وثبت ان الشيخ جمال الدين رحمه الله تعالى تأخر في السبق عن فحول المتقدمين عصرًا . فقد تقدم عليهم ببديعه وغريبه بيانًا وسحرًا . وتفننه في الطريقة الفاضلية بمذاهب ما سلكها المتقدمون وها نحن نستجدي من خواصها نظما ونثرا . وكم سألهُ عالم في سلوك هذه الطريقة فقال له انك لن تستطيع معي صبرًا . وكيف تصبر على ما لم تحط بهِ خبرا . وان قيل ان الفاضل اجل من تمذهب بهذا المذهب فاقول واستغفر الله انهُ وصل فيهِ الى درجة الاجتهاد . وهذا القول يقول بهِ من رفع الخلاف وتأدب فان هذه الطريقة ما امها ناظم ولا ناثر في الايام الاموية . ولا ابتسمت لهم ثغورها في الخلافة العباسية . ولما ختم الفاضل بيوتها وقدّ السبق اطنابه وثبت أوتاده واعتادت بالغناء المتأخرين بعد ما شهدوا بسبقه فاكرم بها عادة وشهادة ولما اتصلت بالشيخ جمال الدين رحمه الله فاهلّ غريبها . وشرف بأصل شجرته النباتية نسيبها . واسكن في ابياته من بديع النظم كل قرينة صالحة . وامست سواجع انشائها على فروعه النباتية صادحه . وضوع لها في عادته كل ذوق ورايحه . وقد عن لي ان اورد هنا نبذة من مفرداته التي حصل الاجماع في الغرابة عليها . واشار بقولهُ اليها

اصغ لما قال اخو وقته ... وخل عنك اليوم ما قيلا
واسمع مقاطيعًا لهُ اطربت ... ولا تقل الا مواصيلا

فمن ذلك قولهُ

حملت خاتم فيهِ فص ازرقا ... من كثرة اللثم الذي لم أُحصِهِ
لولاه مـــا علم الرقيب فيا لهُ ... من خاتم نقل الحديث بفصهِ

وقولهُ ايضاً

لله خال على خد الحبيب لهُ | في العاشقين كما شاء الهوى عبث
اورثتهُ حبة القلب القتيل بهِ | وكان عهدي ان الخال لا يرث

وقولهُ رحمهُ الله

وأغيد جارت في القلوب لحاظه | وأسهرت الاجفان أجفانهُ الوسنى
أجل نظرًا في حاجبيه وطرفه | ترى السحر منهُ قاب قوسين أو أدنى

وقولهُ سامحهُ الله تعالى

بروحي مشروط على الخد أسمر | دنا ووفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد | فقبلتهُ ألفا على ذلك الشرط

وقولهُ وا حربا من هوى رشيق | معتدل كالقضيب مائل
عذاره لا يجيب دمعي | وسائل لا يجيب سائل

ومنهُ قولهُ

اذا سألوني عن هوى قد كتمتهُ | سلت اراعي واشيًا ورقيبا
وجاوب عني سائل من مدامعي | فلله دمعي سائلاً ومجيبا

ومنهُ قولهُ

قبلتهُ عندي النوى فتمررت | تلك الحلاوة بالتفرق والجوى
ولثمتهُ عند القدوم فجبذا | رطب الشفاه السكريّ بلا نوى

ومنهُ قولهُ افديه لدن القوام منعطفًا | يسيل من مقلتيه سيفين
وهبت قلبي لهُ فقال عسى | نومك أيضًا فقلت من عيني

ومنهُ قولهُ مقبل الخدّ ادار الطلا | فقال لي في حبها عاتبي
عن احمر المشروب ما تنتهي | قلت ولا عن اخضر الشارب

ومنهُ قولهُ كم قلت بالثم وبرد اللمى | ابه برغم العاذل الحاسد
روِّ صدى قلبي ودع عاذلي | في الحسب يغتاظ على البارد

ومنهُ قولهُ

بروحي معسول اللمى متحجب ... اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا
وإن ذقت منّا من حلاوة ريقه ... أتانا رقيب يتبع المن بالاذى

ومنهُ قولهُ

ياواصف الخيل بالكميت وبالنهـــد ارحني من طول وسواسي
لا نهد الاَّ من صدر غانية ... ولا كميت الاَّ من الكاس

ومن هنا اخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس وقال

وإن ذكرت الخيل في الميدان ... فاشرب كميتا واعل فوق نهد

وقال ابن نباتة

نقطة خال في وجنة جعلا ... في اللهو لي بعد توبتي غبطه
فيا لها وجنة معشقة ... صرت عليها اقول بالنقطه

ومنهُ قولهُ مع بديع التضمين

لما رأيت نهودها قد أقبلت ... ورأت لقلبي عشقه يتجدد
قالت وقد رأت اصفراري من بهِ ... وتنهدت فاجبتها المتنهد

ومنهُ قولهُ وتلطف كثيرًا

خف خصر الحبيب ثم ابتلاني ... بعذول يزيدني تعنيفا
ليت لو كان في الملامة مثلي ... في هوى الخصر يؤثر التخفيفا

ومنهُ قولهُ أفنى جفاكم كثير دمعي ... لكن بقي في القليل نشطه
وكنت أروي عن ابن بحر ... فصرت اروي عن ابن نقطه

ومنهُ قولهُ يا حبذا يومي بوادي جلق ... وفرحتي مع الغزال الحالى
من أول الجبهة قد قبلتهُ ... مرتشفًا لآخر الخلخال

ومنهُ قولهُ

يامن يقول البدر أو شمس الضحى ... كمعذبي لا كيد للقمرين

أبوجه ذاك ووجه تلك نفيسه   قسماً لقد أخطأت من وجهين

ومنهُ قولهُ نسبوه حسناً للهلال وعينه   للظبي تنسب لا رميت ببينه
فاذا بدا فالى هلال أصله   واذا رنا فهو الغزال بعينه

ومنهُ قولهُ

برنو ويشرق حسنهُ * في ناظري ولهانه   فهو الغزالة والغزا * ل بعينه وعيانه

قلت هذه النكتة ضاقت على الشيخ صلاح الدين فاخذها بعينها وقال

بسهم أجفانه رماني   فذبت من صدّه وبينه
ان مت مالي سواه خصم   فانهُ قاتلي بعينه

وقال ابن نباتة

لما تبدّى في الحنين تحاربت كبدي وعيني
فاعجب لها من وقعة جاءت ببدر في حنين

ومنهُ قولهُ واجاد الى الغاية

دعوني في حلى من العيش مائسا   ومرتقبا من بعده عنو راحم
امدّ الى ذات الاساور مقلتي   وأسأل للاعمال حسن الخواتم

ومنهُ قولهُ

ملأت انسان عيني عسجدا   من خدود قد ملاها الحسن صبغا
قلت والردف أريني فانثنت   ثم قالت هكذا الانسان يطغى

ومنهُ قولهُ

سلت مهجة قد كان صدّعها الاسى   فلا آخذ الله الاسى بصدوعها
وعين بكت من عظم مابي من الهوى   عفا الله عما قد جرى من دموعها

ومن غرائب نكته في المديح

لنا ملك قد قاسمتنا هباته   فنثر العطا منه ونظم الثنا منّا
يذكرنا أخبار معنى بجوده   فينشي له لفظاً وينشى لنا معنا (معنى)

ومنهُ قولهُ لاعدمنا لابن الاثير براعا جاريا للعفاة بالارزاق

كلما ماس في المهارق كالغصن رأيت الندى على الاوراق

ومنهُ قولهُ في كمال الدين بن الزملكاني

يندبه قوم تشبهوا حسدًا بهِ وليسوا لهُ باشباه

ان نطقوا بالجميل او فعلوا فللريا والكمال لله

ومنهُ قولهُ يهني محتسبًا

تهنأ بها حسبة ادركت بايام فضلك ما ترتقب

فانك من اسرة تصطفى وترزق من حيث لاتحتسب

وكتب الى القاضي بهاء الدين بن ابي البقاء على يد طالب شفاعة

ارسلته لك واثقًا بمكارم اورثتها عن سادة انجاب

لا غروَ ان اعربت عن احسابهم فابو البقاء أحق بالاعراب

ومنهُ قولهُ واجاد الى الغاية

يارب فامدد بالغني يد سيّد في يومه يهب الجزيل وفي غده

فالبحر يسعى جاريًا في بابه والسحب جارية تصبّ على يده

ومنهُ قولهُ واجاد

فدينا ك يا ابن المحسنين مجوّدا باقلامه او جائدًا بمكارمه

فخاتم عند الجود في بطن كفه وياقوت عند الخط في فص خاتمه

وكتب الى القاضي شمس الدين البهنسي

شكر الله اياديك التي أنعشت حالي بشمس الهبات

انت بالمعروف قد احييتني وكذا الشمس حياة النبات

ومنهُ قولهُ يهنيء قادمًا من الحجاز

قالوا سررت زائدًا بقادم حجّ شهابًا ثم عاد بدرا

تقصد منه جاهه وماله قلت لهم كلاهما وتمرا

وقال مضمنًا فيمن اهدى لهُ تمرًا غالبهُ النوى

ارسلت تمرًا بل نوى فقبلتهُ   بيد الوداد فما عليك عتاب
واذا تباعدت الجسوم فودّنا   باقٍ ونحن على النوى احباب

ومن لطائف مجونه قوله مضمنًا

يا أبرلا تركنَّ لعلق ولا   تثق بهِ واتركه مع نفسه
ولا ترجَّ الودَّ ممن يرى   انك محتاج الى فلسه

ومن لطائف مداعباته للشيخ بدر الدين الزغاري مضمنًا

يا غائبًا عن مجلس قد شاتمت   ندماه واشتعلت لديه الاكؤس
نبئت ان النار بعدك أوقدت   واستب بعدك يا كليب المجلس

ومنهُ قولهُ   لهفي على فرسي الذي   اضحى قريح المقلتين
يكبو واملك رقه   فمعثر في الحالتين

ومنهُ قولهُ سافرت للساحل مستبعضًا   قصدًا وحمدًا احسن الجملة
فيا لهُ من متجر رابح   ما نفقت فيهِ سوى بغلتي

ومنهُ قولهُ   ميزاني العاطل المحلى   قال لهُ الفقر قف مكانك
لاتذكر المال عند هذا   ولا تحرك بهِ لسانك

ومنهُ قولهُ يداعب صديقًا لهُ يروم ولاية القضاء

رب ان ابن عامر هائم الفكر معنًى في صبحه والمساء
يتمنى القضا فلا تعطينه   واجعل الموت سابقًا للقضاء

وكتب الى صفي الدين الحلي

اوقعني ودّي مع هاجر   يبخل بالدرج وبالوصل
والله لاغررت من بعدها   ولا جعلت الودَّ في حل

ومنهُ قولهُ   ربَّ مليح حسن صورته   قالوا وقد اصبح ذا ذقن
لحيته قد قطعت حلقه   قلت من الاذن الى الاذن

ومنهُ قولهُ واجاد

احمد الله كم اجوّد في الخلق مقالاً وما يفيد المقال
كلمي في الانام سحر ولكن انا والسحر باطل بطال

وقولهُ مضمنًا واجاد الى الغاية

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد فيا خجلتي لما دنوت وادلالى
وقلت امعكيه بالانامل فالتقى لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومنهُ قولهُ محبوبتى دنيا جفت بعدما جادت وكانت نزهة الهائم
كانت معالابر زمان الصبا وهكذا الدنيا مع القائم

ومنهُ قولهُ جنينة التين وجيرانها قد طيبت لذاتها وقتي
وكثرت عندي ما اشتهي فالتين من فوقي ومن تحتي

وقال يرثي والده عبد الرحيم

يا لهف قلبي على عبد الرحيم ويا شوقي ويا شجوي ويا دائى
في شهر كانون وافاه الحمام وقد أحرقت بالنار يا كانون أحشائى

ومنهُ قولهُ آها لشملٍ قد وهى سلكه وكان ذا درٌ بعبد الرحيم
فليتني لاقيت عنهُ الردى وعاش ذاك الدر درًا يتيم

وقال فيهِ واجاد

قالوا فلان قد جفت افكاره نظم القريض فلا يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منهُ بعدما سكن التراب وليده وحبيبه

وقال يعزي بميت ويهني بالعشر

اتينك يا ازكى البرية جامعًا لامرين في يوم من الدهر وافد
هنا وعزا لا عيب فيهِ لانني اهني بعشر اذ اعزي بواحد

انتهى ما وقع عليهِ الاختيار ووعدت بايراده من غرائب الشيخ جمال الدين بن نباتة وبدائعه في باب التورية على اختلاف انواعها وقد تقدم قولي ان الرابة

الفاضلية هو عرابة مجدها * وواسطة عقدها *وقائد زمامها * وعقد نظامها *
وقدمت ايضًا ذكر من مشى تحت الراية الفاضلية من ابن سنا الملك الى الوداعي
ولما رفع العلم النباتي كانت الفرقة التي مشت تحت هذا العلم المحمدي اكثر عددًا
واشهر ذكرًا . واعلى رتبة نظمًا ونثرًا . وقد عنّ لي ان اذكر هنا لكل من عاصره ومشى
تحت علمه النباتي وتحلى بنكته الادبية نبذة من مختار مقاطيعه التي حلاوتها في
الاصل نباتية . ليظهر صدق قولي في تفضيل الصحابة المحمدية . واشرع بعد ذلك
في ايراد نبذة من نظم التابعين لهم باحسان * وادير هذا الكأس بحيث يتسلسل
دوره الى اهل هذا العصر والاوان * والعصابة التي مشت تحت العلم النباتي
وتحلت بقطر نباته * وتفيأت بظلال أبياته * هم الشيخ صلاح الدين الصفدي
والشيخ بدر الدين الصاحب والشيخ زين الدين بن الوردي والشيخ برهان الدين
القيراطي والشيخ شمس الدين بن الصائغ والشيخ ابراهيم المعمار والشيخ شهاب الدين
ابن ابي حجلة والشيخ بدر الدين حسن الزغاري والشيخ يحيى الخباز الحموي والشيخ
شهاب الدين الحاجي وممن ادركتهم وحاضرتهم وكاتبوني وكاتبتهم وأنشدوني
وأنشدتهم من أهل مصر والشام الشيخ زين الدين ابن العجمي عين كتاب
الانشاء الشريف بالديار المصرية تغمده الله برحمته ورضوانه والقاضي فتح الدين
ابن الشهيد صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروسة وناظم السيرة النبوية
نورّ الله ضريحه والشيخ عز الدين الموصلي والشيخ علاء الدين بن ايبك والشيخ
جلال الدين ابن خطيب داريًا والشيخ شمس الدين الرئيس الشهير بالمزين والشيخ
شرف الدين عيسى العالية بمصر وعاصرته والشيخ شهاب الدين ابن العطار ولكن
ما حضرته والشيخ جمال الدين بن عبد الله السوسي أدركته ايضًا بمصر وماحاضرته
والصاحب فخر الدين ابن مكانس وانشدته وانشدني وكتب اليّ وكتبت اليه
واما سيدي ابو الفضل ابن ابي الوفا قدس الله سره ونوّر ضريحه فانني أدركته
بالديار المصرية وسمعت نظمه وحضرت بحضرته الكريمة والشيخ شمس الدين

المتنبي صاحبي في ذلك العصر وخدمني والفرقة التي اطال الله بقاءها وأمست بها قواعد الادب قائمة . وختمت بهم هذه الطريقة وأخلصوا في العمل ففازوا في الحالتين بحسن الخاتمة . لم ينفرط من سبحتهم غير الجناب المخدومي المجدي ابن مكانس وقد متعنا الله في هذا العصر بحياة سيدنا الشيخ الحافظ العلامة شهاب الدين بن حجر العسقلاني الشافعي والقاضي بدر الدين بن الدماميني المالكي المخزومي والشيخ بدر الدين البشتكي رحمهم الله تعالى والترتيب هنا يقتضي ان نبدأ بمن نقدم ذكره اولاً فاولاً فمن محاسن الشيخ صلاح الدين في باب التورية قوله

أفديه ساجي العيون حين رنا   اصاب مني الحشا بسهمين
أعدمني الرشد في هواه ولا   أفلح شيءٌ يصاب بالعين

ومنهُ قولهُ

ان عيني مذ غاب شخصك عنها   يأمر السهد في كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي   لا تسل ما جرى على الخدّ منها

ومنهُ قولهُ

ان لم تصدقني تصدق بالكرى   ليزورني فيهِ الخيال الزائل
وانظر الى فقري لوصلك واغتنم   اجرى وقل للدمع قف ياسائل

ومنهُ قولهُ يقول الناس كيف يميل عنهُ الحبيب ويدعى صوناً وعفه

اليس لقدّه في كل يوم   يمرّ مع النواسم الف عطفه

ومنهُ قولهُ

وأحور أحوى فاتر الطرف قد غدا   بهِ قلب صب بالجوى يتضرم
كستني ضنى جسمي سهام جفونه   فبرد سقامي في هواه مسهم

ومنهُ قولهُ

وظبي معانيه بيان بديعها   لهُ حار فكري اذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريري كلها   على خدّه مشروحة للمطرزى

ومنهُ قولهُ كن كيف شئت فان قد　　رك قد علا عندي وعزا
مات السلو تعيش انـت اما رأيت الصبر عزا

ومنهُ قولهُ

قالوا حكى بدر الدجا وجه الذي　　تهوى فقلت لهم فنوا وتربصوا
انا ما اصدق مـا عليهِ كلفة　　فاذا حكي شيئًا يزيد وينقص

ومنهُ قولهُ

يقولون حاكاه الهلال فلا تزغ　　عن الحق واعرف ذاك ان كنت تنصف
فقلت اذا مـا صار بدرًا مكملا　　حكاه ومع هذا عليهِ تكلف

ومنه قوله

اذا قلت قد اسرفت في التيه قال لي　　نقل عن جمالي في الهوى غير ما جرى
وأبيض طرفي واقف عند حدّه　　واسود شعري قد تواضع للثرى

ومنه قوله كؤس المدام تحب الصفا　　فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها　　فأحسن ما ذهبت بالطلا

ومنهُ قولهُ واجاد

قلت لما شوى اوزًا حبيبي　　واكتسى باللهيب ثوبا ثناء
لو يعيش الجزار مات غراما　　في معاني محاسن الشواء
قل للرقيب يسترح من رصدي　　ما أصبح المعشوق عندي مشتهى
وارتد قلبي عن سيوف لحظه　　وكل شيءٍ بلغ الحد انتهى

ومنه قوله

انفقت كنز مدائحي في ثغره　　وجمعت فيهِ كل معنىً شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة　　فأبى وراح تغزلي في البارد

ومنه قوله

املت ان تتعطفوا بوصالكم　　فرأيت من هجرانكم ما لا يرى

وعلمت أن فراقكم لا بدّ ان يجري لهُ دمعي دمًا وكذا جرى

ومنهُ قولهُ

لئن سمح الدهر البخيل بقربكم وسكن مني أنفسًا وخواطرا
جعلت ابتذال الروح شكران وصلكم وقلت لدمع العين يعمل ما جرى

ومنهُ قوله

تناءى الذي أهوى فمت صبابة وقال عجيب كل أمرك في الهوى
صبرت لطرفي اذ رمتك سهامه ولم تتصبر اذ رمتك يد النوى

ومنهُ قوله

أتاني وقد أودى السهاد بناظري بزرق جنح الليل بارق فيه
فناديته يا طيب الاصل هكذا أخذت الكرى مني وعيني فيه

ومنهُ قوله

يا قلب صبرًا على الفراق ولو روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع ان أبحت بما تخفيه وجدًا سقطت من عيني

ومنهُ قوله

قالوا علا نيل مصر في زيادته حتى لقد بلغ الاهرام حين طمى
فقلت هذا عجيب في بلادكم أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

ومنهُ قوله

انا في حال بقبض معلم وهو في شرع الهوى ما لا يسوغ
فني الصبر وأضحى هرما والمنى في وصلكم دون البلوغ

وقال وقد كتب الى من أهدى اليهِ صحن قطائف قوله

أتاني صحن من قطائفك التي غدت وهي روض قد تنبت بالقطر
فلا غروان صدّقت حلو حديثها وسكّرها يرويه لي عن ابي ذرّ

قلت الجماعة تجاروا في الحلبة واجادوا منهم الشيخ زين الدين بن الوردي بقوله

بعثت قطائفًا حلت جناها قطرها الغامر
فسكّرهـا ابو ذرّ ومرسل صحنها جابر

واما الشيخ جمال الدين ابن نباتة فانهُ جمع هنا بين التورية وحسن التضمين وبديع الاكتفاء والحلاوة النباتية بقوله

اقول وقد جاء الغلام بصحنه عقيب طعام الفطر يا غاية المنى
بعيشك قل لي جاء صحن قطائف وبح باسم من تهوى ودعني من الكنا (فه)

ومثله قوله مع بديع التضمين

رعى الله نعماك التي من أقلها قطائف من قطر النبات لها قطر
امدّ لهـا كفي فاهتز فرحة كما انتفض العصفور بلله القطر

ويعجبني هنا قول الشيخ برهان الدين القيراطي

لقد قطفت زهر النبات قطائف تخيرتها فاخترت للنفس ما يحلو
تقول اسمعوا مني مدائح مرسلي فكلي ان حدثتكم السن تتلو

واما تورية القطر النباتي بها معروف فمن ذلك قوله

شكرًا لبرّك يا غيث العفاة ولا زالت مدائحك العلياء تنتخب
قد جدت بالقطر حتى زدت في طمع وأول الغيث قطر ثم ينسكب

ويعجبني هنا قول ابي الحسين الجزار

ايا علم الدين الذي جود كفه براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت ارض الكنافة انني لارجوا لها من سحب راحتك القطرا

ومن لطائف الشيخ صلاح الدين في باب التورية

ان كان يا مولاي لا بد ان تاخذ شعري جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها وقم خذ الكل بلا قافيه

ومنهُ قوله أدير بلحيتي البيضاء كاسي بكيس زائد مني وفطنه
الم ترني وعفو الله راجٍ ومن شرهي أصفيها بقطنه

ومنهُ قوله

وجرة قدموها * والراح فيها كمينه   شممت طينة فيها * فرحت سكران طينه

ومنهُ قوله قلت لهُ اذ هز لي ذقنه   ولام فيمن همت في عشقها
تذكراذ غنت فنادى نعم   فقلت وا شوقًا الى خلقها

ويحسن ان نختم هذه المجونات بقول الشيخ صلاح الدين وهو

يا ساحبا ذيل الصبا في الهوى   أبليته في الغيّ وهو القشيب
فاغسل بدمع العين ثوب التقى   ونقه من قبل عصر المشيب

(قلت) الشيخ صلاح الدين سامحه الله كان من المكثرين وكان هو والشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة يرضيان لرغبتهما في الكثرة بالاشياء الرخيصة ولم اورد للشيخ صلاح الدين هنا الاّ ما تخيرته من غالي نظمه انتهى ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردي في باب التورية قوله رحمه الله تعالى

ومليح اذا النحاة رأوه   فضّلوه على بديع الزمان
برضاب على المبرد يروى   ونهود تروي عن الرماني

ومنهُ قوله

اذا تعذر حبي * فخله يتعذر   فجيده اصل ما بي * والجيد لا يتغيرّ

ومنهُ قوله وتاجر ماطلته دينه   لاجتليه قال ما أمطلك
قلت لهُ جيدك لي أو لمن   فقال هات المال والجيد لك

ومنهُ قوله

عجبت في رمضان من مسحرة   بديعة الحسن الاّ انها ابتدعت
قامت تسحرنا ليلاً فقلت لها   كيف السحور وهذي الشمس قد طلعت

ومنهُ قوله انكر حبي مدمعي   وقال هذا من هوى
فقلت لا بل من فتى   اصاب عيني بنوى

ومن اغزاله قوله واجاد

اقول اذ قال لي حبيبي   علام فارقتني علاما
خدك كان الصفا ولكن   قد اصبح المشعر الحراما

ومنهُ قوله أبصروا دمعي فخافوا   قلت لاتخشوا بكائي
ما عليكم من دموعي   غير امطار السماء

ومنهُ قوله

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر   مثلهما لي مسرعًا * فقلت أنت القمر

ومنهُ قوله رومية الاصل لها مقلة   تركية صارمها هندي
قدفضحتني وجنتاها فقل   في وجنةٍ فاضحة الوردي

ومنهُ قوله من الدوبيت

يا روضة حسن لينها لي وحدي   ألشركة فيك قد اذابت كبدى
ما ضرك ان نسقى بماء فرد   والواجب ان يكون ماء الوردى

ومن نكته الغريبة

رام ظبي الترك وردًا   قلت اقصر خاب ضدك
عندك الورد المربى   قال قاني قلت خدك

ومنهُ قوله في أعور

أعور كالبدر لـه مقلة   واحدة قامت مقام اثنتين
قد سرق الرقدة من ناظري   وقال ما جئتك الاّ بعين

ومنهُ قوله واجاد قال لي بند خصره   كم كذا ترجع البصر
قلت لا تنفرد بـهِ   لك شد ولى نظر

ومن انفاقاته البديعة قوله

فؤادي الى آل النصيبيّ مائل   وودّى لهم في محضري ومغيبي
فبيني وبين القوم نوع تجانس   اذا طاب اصل الورد كان نصيبي

ومن لطائف مجونه

ولي صاحب بالمدح والهجو كسبه   يقول أتدري كيف أصنع بالخلق
اذا حمروا وجهي وما بيضوا يدي   ازرق لهم رجلي ولو خضروا عنقي

ومن لطائف مجونه

لي صاحب واسمه سراج   ما قر لي عنده قرار
لسانه محرق لقلبي   ان لسان السراج نار

ومثلة قوله

يامن تولى قاضياً*هذا قضاء أم قدر*غدروك في بستاننا* ان القضا يعمى البصر

ومنهُ قوله كل يوم رتبوه اربعة   لك فازددت علينا صعصعه
فلو استفتيت في سيدنا   قلت بسناهل قطع الاربعه

ومنهُ قولهُ مليحة مصطولة   ان لمتها فيما جرى
تقول كل ظبية   ترعى الحشيش الاخضرا

ومنهُ قولهُ ديار مصر هي الدنيا وساكنها   هم الانام فقابلهم بتقبيل
يامن يباهي ببغداد ودجلتها   مصر مقدمة والشرح للنيل

وقولهُ في شيخ الاسلام شرف الدين البارزي

جنبتني وأخي تكاليف القضا   وكفيتنا مرضين مختلفين
يا حيّ عالم دهرنا أحييتنا   فلك التصرف في دم الاخوين

ومنهُ قولهُ

ياآل بيت النبي من بذلت   في حبكم روحه فما غبنا
من جاء عن بيته يحدثكم   قولوا لهُ البيت والحديث لنا

ومن تحريرا لشيخ برهان الدين القيراطي

البدر طلعة وجهه   وعذاره هالاته
وخنوق قلبي في هوا   ه سعبدة حركاته

ومنهُ قولهُ لما تبدى قوام قامته وحاجباه لناظر العين
رأيت موتي بسيف ناظره من قيد رمح وقاب قوسين
ومنهُ قولهُ ارتاح للاقمار وهي طوالع وشموس راحي للمغارب تجنح
ويهزني زجل الطيور بلحنها والروض بالزهر النظيم موشح

ومنهُ قولهُ

شبه السيف والسنان بعيني من لقتلي بين الانام استحلا
فابي فالسيف والسنان وقالا حدنا دون ذاك حاشا وكلا

ومنهُ قولهُ

اباح لي نرجس الحاظه في مجلس ما فيهِ ما نكره
فقلت ورد الخدّ جد لي بهِ أيضًا فقال الكل في الحضره

ومنهُ قولهُ

أهيم باعطاف القدود صبابة وان هي زادتني جفا وتباعدا
ويعجبني بين الانام تطفلي عليها اذا شاهدتهن موائدا

ومنهُ قولهُ

قال لي بالحمى غزالي لما لم اجد من ظبا الجفون ملاذا
كيف جاءت اليك أسياف جفني قلت جاءت على الحمى فولاذا

ومنهُ قولهُ

جفني وجفن الحبّ قد أحرزا وصفين من نيلك يا مصر
جفني له يوم الوداع الجفا وجفنه الساجي له الكسر
ومنه قوله خدمت بالاغزال أبوابه لما تبدى حسنه الباهر
ولي من الدمع على خدمتي جراية أطلقها الناظر

ومنه قوله

عبدك يامن جفا وصدّا وما درى بصب يموت بالكمد

جرى على الخدّ من مدامعه　　في الحبّ ما لا جرى على أحد

ومنهُ قوله ومخايل نبت العذار بخدّه　　ولهُ مخايل بالملاحة تشهد

لما رآني قانعاً بخياله　　نزل العذار بوجنتيه يسوّد

ومنه قولهُ

انظر الى حسن عذار بدت　　من تحته الشامات مثل النقط

صحت به نسبة حسن الى　　من راحت الارواح فيهِ غلط

ومنهُ قوله

جزت النقا فحويت لين غصونه　　وكثيب واديه وجيد غزاله

وأخذت حسن البدر منهُ وقد بدا　　في افقه بتمامه وكماله

ومنهُ قوله

ويوم توالى القطر فيهِ فجاءني　　بشمس الطلا بدر يفوق على البدر

فعانقت لما مال عسّال قدّه　　وقبلت معسول اللمى عدد القطر

ومنهُ قوله يا هاجراً أوقعني هجره　　وصده في حالة صعبه

أخذت قلبي بالتجني وما　　تركت لي منهُ ولا حبّه

ومنهُ قوله وسارق ابيات نظمي غدا　　لا يعرف النظم ولا يحسن

اياك ان تنشده يا فتىً　　بيتاً فلص البيت لا يومن

ومنهُ قوله كم عالم قد اشتكى　　في القفرطول مكثه

وكل ثور سارح　　زيد له في حرثه

ومنه قوله في قناطر الجيزة

قناطر الجيزة كم قادم　　عليك يلقى فيك أقصى مناه

أتاك قوم لاطة فانحنى　　ظهرك للوطء وصب المياه

وقلت فيها ايام الزيادة

وقالوا كميت النيل يجرى وقد غدا　　عليهِ حلوق السبق قلت كذا جرى

ولكنه نحو القناطر اذ أتى نجرّى عليها معجبًا فتقنطرا

ومن غرائب القيراطي قوله

أوصافكم نجري احاديثها سوى النجوم الزهر في الافق
كما احاديث الندى عندكم يسندها الركبان من طرق

ومن اعراضه في باذهنج

بروحي وجسمي باذهنجا موكلا باطفاء ما يلقاه من الم الجوى
اذا مدحت اوصافه قال منشدًا على انني راض بان احمل الهوى

وقوله ما يكتب على طاسه

تأمل فاني طاسة صح نقشها وفاق على نقش الغوانى التي نسبى
وواصف حسني اطرب السمع قوله كأنى في الكاسات داخلة الضرب

ومن غريب ما وقع لى في هذا المعنى

انا طاسة قدري سما وبروضتي نهر المجرّة للنجوم شوارد
ونسارج القمر المنير لحسنه فقمرته وعليه نقشى قاعد

ومثله قولى

انا طاسة بيضت وجهي عندكم وصفا لكم قلبي بماء رائق
عذبت موارده ببارق بهجتي فتنزهوا بين العذيب و بارق

ومن بدائع اغراض القيراطي

اطربنا العود الى أن غدا مقامنا يرقص مع صحبه
فشمعنا قام على ساقه وكأسنا دار على كعبه

ومما تخيرته من ابيات المعمار في باب التورية قوله

لما تبدّى عذار الحبّ قلت لهُ رفقًا ومهلاً عليه ايها الجانى
ولا تخشن فما في الخدّ محتمل بان يخط عليه عرق ريحان

ومنهُ قوله ان قام يتلو سورة الشمس المنيرة في ضحاها

يا حسنه فكأنهُ القمــر المنير اذا تلاهــا

ومنه قوله

رحت يوم الفراق اجرى دموعي حسرة اذ قضى الزمان ببين
قيل كم ذا تجري دموعك نعمى اوقف الدمع قلت من بعد عينى

ومنهُ قوله ولي غضبان لا يرضيه الاَّ دموع ساكبات مستمره
فما عطفت معاطفه بوصلٍ وفي عينيَّ بعد الهجر قطره

ومنهُ قولهُ قلت لهُ لما وفى موعدي مختفيا من حاسد معتدى
ربِّ كما فرحتني بالوفا أسبل عليَّ الستر يا سيدى

ومنهُ قوله

لو انصفت لاشارت بالسلام على متيم ما قضى من وصلها وطره
باصبع انما غصت انامله‍ــا حتى ولا واحد يصفو من العشره

ومنهُ قوله واجاد

عزمت على رقيا محاسن وجهه بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره بدأت ببسم الله في النظم أولا

ومنهُ قوله لو رأى درَّ ثغره عاد لي في التبسم
ذهبت روحه كما قيل في دور درهم

ومن بدائع مدائحه قوله

لابن فضل الله فضل غمر الفضل ووفى
كيف لا وهو عليٌّ عَلِم السرَّ واخفى

ومنهُ قوله

ايا بدر المحاسن حزت جودًا وفضلًا شاع بين العالمينا
وكنت من الكرام فحزت خطًّا فصرت من الكرام الكاتبينا

ومن اغراضه اللطيفة

ما مصر الاَّ منزل مستحسن فاستوطنوه مشرقًا أو مغربا
هذا وان كنتم على سفر بهِ فتيمموا منهُ صعيدًا طيبا

ومنهُ قوله وخادم قبلت مشروطه في خدّه لكن رأيت العجب
من ناعم حلوٍ فناديته ما انت بامشروط الاَّ رطب

ومنهُ قوله لثمت عذار محبوبي الشرابي فقال تركت لثم الخدّ عجبا
حفظت الانسوان كما سمعنا ورحت تضيع الورد المربى

ومنهُ قوله

صاد فؤادي من بني العرب فتىً لهُ من الحسن اتصال ونسب
صحت في الحيّ وقلبي طائر يا عربا اهل ذمام وحسب
عساكم ان تنشدوا حشاشة في حبكم ضلت وراحت باعرب

ومنهُ قوله رحلوا عريب المنحنى وفراقهم ما كان اصعب
املتهم ان يرجعوا والموت لى من ذاك اقرب
حيث الحمى لارى الخيا م فلم يلح في الحيّ مضرب

ولهُ في طباخ كلفي بطباخ تنوّع حسنه ومزاجه للعاشقين يوافق
لكن مخافي من جناه وكم غدت منه قلوب في الصدور خوافق

ومثله قوله ربّ جزّار هواه صار لى لحما ودما
فزت بالأَلية منه وامتلا قلبي شحما

ومنهُ قولهُ حاكمت في شرع الهوى قاتلى ولى دم طلّ على خدّه
فاتهم الحاكم لحظًا لهُ تحقق الفتنة من عنده
مال الى الحق فلما رأى قدّ حبيبي مال مع قدّه

ومنهُ قولهُ في خطائي

اصاب قلبي خطائى بلحظه لشقائى

فرحت من فرط دائى أشكو الى الحكماء
قالوا أصبت بعين فقلت من علم دائى
ان كان هذا صوابًا فتلك عين الخطائى

ومنهُ قولهُ

جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت عنا الهموم وهان القمح ثم رمى
وراح خزانه للنيل ينظره فاستكثر الماء في عينيه ثم عمى

ومنهُ قولهُ

حزن الخزان لما أن رأى نيلنا قد عم سهلاً وجبل
ورأى الارض لنا قد اخرجت سنبلات ذات حبٍّ فاختبل
وبكى اذ رمدت اعينه زادها الله عروقًا وسبل

ولهُ واجاد

سمعت يومًا سدّ مصر يقو ل النيل وافى زائدا عندى
وكان هذا خبرًا صادقًا فرحت أرويه عن السدى

ومن مجونه

أيرى مع المرد خاب متجره مذ عاملوه معشر النصبه
وضيعوا رأس مال حاصله اذ كسروه وقام بالثقبه

ومنهُ قولهُ أيرى اذا ندبته لحاجة تخنص بي
قام لهـا بنفسه ما هو الاَّ عصبى

ومنهُ قولهُ تأخرت لعذرها قلت لهـا تقدمى
أيرى هذا عصبي يخوض معك في الدم

ومنهُ قولهُ لى أير فيه كبر وجفاء وهو منى يا لقومي والىّ
كلما أغضبنى أرضيته واذا أرضيته قام علىّ

ومنهُ قولهُ أيرى مغرىً باللواط الذي بفتح لا سيما على مثله

أوقف حالي لانسل ماجري ... وصرت خلف الناس من أجله

ومنه قوله وبخت أيري اذ جاء ملتنا ... بذاك من غفلة فما اكترثا
بل قال لي حين لمته قسما ... ما جزت حمام قعره عبثا
كيف وفيها طهارتي وبها ... أقلب ماء وأرفع الحدثا

ومنه قوله

يا ليلة قضيتها * فهل تراها عائده ... عمود أيري قائم * وهي عليه قاعده

ومنه قوله صغير نام على وجهه ... وقال حكك قلت لا فائده
ثم أدخل العامود ياسيدي ... فقال لا تخرم القاعده

ومنه قوله

عميرة قام يبتغي نكدي ... جلدته ثم قلت ياولدي
ها انت في قبضتي نطاوعني ... وان عصاني خصاه تحت يدي

ومنه قوله وقحبة ذات حر يابس ... يحمل كالسندان رصعى الشديد
تقول ثم طرّقه لي لاتنم ... فقلت ما لي زبرة من حديد

ومنه قوله أطعمت أيري كي ينا ... م وقلت قرّ فما استقر
بل قام يسعى قائلاً ... انا من اذا طعم انتشر

ومنه قوله

قد ذبت من كربي لفقد النساء ... أفور كالتنور من ناريه
وقد طغى الماء فمن لي بأن ... احمل بالجود على جاريه

ومنه قوله لو رأى قحبة حبي عاذلي ... وهي تجلى في ثياب سندسيه
لغدا العاذل فيها عاذرا ... وتفاصلنا على بيضه نقيه

ومنه قوله

سألت وصال حبي قال دعني ... فانك في افتقار لا تجاب
فقلت له حبيب القلب أدعى ... بذى فقر وفي وسطي نصاب

ومنهُ قولهُ وصاحب انزل بي صفعه   غضبت اذ ضيع لى حرمتى
فقال في ظهرك جاءت يدى   فقلت لا والعهد في رقبتى

ومنهُ قولهُ سألتهُ في صفعة قال لى   جناية الصفعة ما منهُ بد
صاع من التمر أحلى بهِ   قلت لهُ اعطيك صاعًا ومد

ومنهُ قولهُ لج العذول ولامني   فيمن احب وعنفا
فهممت الطم رأسه   لما بليت تأسفا
لكنني زلقت يدي   وقعت على أصل القفا

جئت للخلّ بلاطف الجرحى   قلت لهُ يا اخا الرضا صف لى
في عنقي دمل بهِ ورم   قال تداو بمرهم الخلّ

ومنهُ قولهُ قالوا عشقت الشباب جهلًا   فعلك هذا هو القبيح
فقلت قد قيل كل شيءٍ   يأتي على وجهه مليح

ومنهُ قولهُ بدا بخد الحبيب شعر   وسفله يا اخيّ سالم
فكان كالخوخ اذ ينادي   عليه ذا مشعر وناعم

ومنهُ قولهُ ومما جن بهوى الصفا   ع ولم يكن اذ ذاك فنى
سلمته عنقي الدقيق فراح يخله بغبن
ما ان أذنت له رضا   لكنه من خلف اذنى
لولا يد سبقت له   لامرته بالكف عنى

ومنهُ قولهُ

ومازجة تهوى المجون ولم تزل   تباسطني لطفًا بطيب مجونها
تقول وقد تاهت بلين قوامها   وقلبي مفتون بسحر عيونها
بعيشك هب لي صفعة ثم اقسمت   على صبها المضنى بنور جبينها
فلما جرت منها اليمين واكدت   مددت قفاي فسحة ليمينها

ومنهُ قولهُ

فلان والجماعة عارفوه   وإن أبدى التنسك والزهاده
يموت على الشهادة وهو حيٌّ   الهي لا تمته على الشهاده

ومنهُ قولهُ

لما جاوا لي عروسا لست اطلبها   قالوا ليهنك هذا العرس والزينه
فقلت لما رأيت النهد منتفشا   رمانة كنبت يا ليتها تينه

ومنه قوله

ابيت من الافلاس والفقر طاويا   لقد زهدوني العشق قهرًا وسلونى
وقالوا تحب البيض والسمرقلت لا   احب من الالوان قحبة اللون

ومنه قوله

لائمي في الشباب دع عنك لومي   لست ممن تروعه بالعتاب
ايها الشيخ هات بالله قل لي   اي عيش يحلو بغير الشباب

ومنه قوله

قلت هلال الصيام ليس يرى   فلا تصوموا وارضوا بنقل ثقه
فخالفوني وحققوا فرأوا   وكل هذا من قوة الحدقه

ومنه قوله وشادن ليس لهُ شارب   ولا عذار بل لهُ طره
كفايتي من ريقه شربة   يا حسرة منهُ على جره

وممن احسن السبك في صياغة التورية الشيخ شمس الدين الصائغ الحنفي المصري فمن ذلك قوله عفي عنهُ

من هجر سلمى ما سلمت ومن ترى   يقوى لحمل الشوق والهجران
لا تغترر يومًا بحلو رضابها   فلقد بدا من قدها مران (نى)

ومنهُ قولهُ وشادن ظلت غصون الربا   لما رأته مقبلاً ساجده
سألته من ريقه شربة   فقال ذى مسئلة بارده

ومنهُ قولهُ

ثنى غصنًا ومدّ عليهِ فرعًا ... لحظي حين أطاب منه وصلا

واسبله على الارداف منهُ ... فلم أرمثل ذاك الفرع أصلا

ومنهُ قولهُ

هجرت فأحشائي توقد جمرها ... هذا ولبست في المحبة فاتره

وتظل تحرقني بنيران الجفا ... ومن الذي يقوى لنار الهاجره

ومنهُ قولهُ

يقول عذولي للدموع وقد جرت ... على أثر محبوب برى مهجتي بريا

تأنى فقد لاح العذار بخدّه ... فقلت لهُ والله قد زدتني جريا

ومنهُ قولهُ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا ... فظل في الليل مثل النجم حيرانا

راودته يستعير الصبر بعدهم ... فقال اني استعرت اليوم نيرانا

ومنهُ قولهُ قد زادني التفنيد لي عاذلي ... على هوى من لم أطق بينها

حتى بدا من لحظها صارم ... ففر لما أن رأى عينها

ومنهُ قولهُ

لا تنكروا اني تركت معذرا ... أضنى الفؤاد بلوعة التبريح

لما بدا شعر بصفحة خدّ ... قابلت ذاك الشعر بالتسريح

ومنهُ قوله

عارضني العذال في عارض ... قالوا بلطف بعد ما أطنبوا

ما آن للعارض أن ينتهي ... قلت ولا بالشيب لا تتعبوا

ومنهُ قولهُ

قاس الورى وجه حبيبي بالقمر ... لجامع بينهما وهو الخفر

قلت القياس باطل بفرقه ... وبعد ذا عندي في الوجه نظر

ومنهُ قولهُ قال العذول عندما شاهدني في شغلي
بمن فتنت في الورى فقلت دعني بعلي

ومنهُ قوله

اميل اليهِ كي يميل فينثني ويعرض ابصرت القضيب اذا انثنى
ويطرحني عن باله لا يعدني فيلبسني من طرحه حلة الضنى

ومنهُ قوله لستُ أنسى رقة العيش الذي زاد في الرقة حتى انقطعا
فرعى الله زمانًا بالحمى وحماه وسناه ورعا

ومنهُ قوله

بدا ليل العذار بخدّ بدرٍ يفوق البدر حسنًا في الكمال
فلا تطمع عذولي في سلوى فعشقي لا تغيره الليالى

ومنهُ قوله

بروحي افدي خاله فوق خدّي ومن انا في الدنيا فافديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خدّه واسكن كل الحسن في ذلك الخال

ومنه قوله

راحت منى روحي فهذي مهجتي من بعد ذا وجدًا بها قد طاحت
فاترك ملامك يا عذول فانما هي مهجتي رحلت على من راحت

ومن لطائف مديحه في القاضي علاء الدين بن فضل الله

لقد أعطى علاء الدين ما لم توف بشكره المداح طرًا
نحا نحو الكلام الحيّ حتى دخلت مبردا وخرجت فرّا

وله في القاضي تقي الدين بن صالح

بجود تقي الدين أصبح دهرنا رقيق الحواشي معلمًا بالمدائح
فيادهرنا حزت المفاخر فافتخر اذا نحن اثنينا عليك بصالح

وقد اهدى لهُ بعض الوزراء في عيد الاضحى كبشاً

وزير الملك عيد الف عيد ... فانت الصاحب الخلق الجميل
لقد منيت في الاضحى بكبش ... مليّ بالغنى كاف كفيل

ومن لطائف مجونه قوله

وناحل أضحى يصفي وقد ... حنت لهُ راووق جريال
سألته كاساً أطفي بها ... نيران احشائي فصفى لى

ومنهُ قوله قلت لبزاز على خلوة ... واصل فتى ينسب للخرقة
وخلني اصفق ولو مرة ... فانت ما تخسر من صفقتي

ومنه قوله جاء نحوي معذر ... بعد ما عزّ مطلبه
قلت ذا الأير ميت ... ظل يبكي ويندبه

ومنه قوله

تطلبت جحرًا في الظلام فلم اجد ... ومن يك مثلي حية دأبه الجحر
فنادانى البدر الاديب الى هنا ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومثله يماجن ابن ابي حجله

يكذب من ينسب البغاء الى ... شاعرنا المنتمي ابي حجله
ما هو بغا كما يقال لنا ... بل هو ثور يدور بالعجله

ومثله يماجن ابن دقيق العيد

لعلاء الدين ذقن ... تملأ الكف وتنضل
فاعمل المنخل منها ... لدقيق العيد وانخل

وممن زين الدواوين بحسن مباشرته الشيخ بدر الدين بن الصاحب قوله

حبيب لي طبيب لم يزرني ... سوى بالطيف في ظلم الليالى
رآني ناحلاً من فرط شوقي ... فاهدى لي مزوّره الخيالى

ومنه قوله وعدتني بخيال ... يزور طرفي مناما

فشاب رأسي انتظارًا　　وما بلغت احتلاما

ومنه قوله　جفني عليك ساهر　　بحرقة قـد ذقتها
ودمعتي جارية　　ان زرتني عنقتها

ومنهُ قوله

فتنت بنبت من عوارض خدّه　　فها أنا في قيد الغرام أسير
وما كان لى بالعشق قط تعلق　　ولا بالهوى قبل العذار شعور

ومنه قوله　يا ايها العاصر بادر الى　　عنقودك الفاخر في كرمه
اياك ان تتركه ساعة　　يزبب النحس على امّه

ومنه قوله

يا حابس الكأس لا تزدها　　من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مزاجًا لهـا لطيفًا　　أورثه الانتظار صفره

ويعجبني قوله

غنّت فأغنت عن كؤس الطلا　　بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيمني صوتهـا　　في مثل هذا الحلق تروح الذقون

ومنهُ قوله

يا مهدي الاقصاب من سكر　　صفرًا حكى طول القنا طولها
اياك أن نقطعها ساعة　　فأحسن الاقصاب موصولها

ومنه قوله

ناحت حمام البان أم تاهت أسىً　　لم ادر ما غناؤها من شوقها
عجماء لا تظهر حرفًا من شجى　　كأنها مخنوقة من طوقها

ومنه قوله

وذات طوق على الاغصان تذكرني　　قوام حسنك في ضمن لمعتنقك
قد سودت وجهها نوحًا فقلت لها　　سواد قلبي يا ورقاء في عنقك

ومن نكته البديعة في الشطرنج قوله

تأمل ترى الشطرنج كالدهر دولة | نهارًا وليلاً ثم بؤسا وأنعما
محركها باق وتفنى جميعها | وبعد الفنا تحيي وتبعث أعظما

ومثله واجاد مع بديع التضمين

اميل لشطرنج أهل النهى | وأسلوه من ناقل الباطل
وكم رمت تهذيب لعابه | وتأبى الطباع على الناقل

ومن اغراضه

لعبت بالشطرنج في غاية | تقصر الاوصاف عن حدّها
ان صاح في الاقران لي بيدق | تموت منه الشاة في جلدها

ومن اغراضه البديعة قوله

لله يوم الوفا والخلق قد جمعوا | كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من اصابعه | مخلق تملأ الدنيا بشائره

ومثله قوله النيل ألبس حلة | حمراء في تخليقه
وله اصابع زينب | قد ختمت بعقيقه

ومثله قوله نادى منادى الوفاء مصرًا | اذ علقوا سترة علامه
من الغلا قد سلمت حقًا | فبت في الستر والسلامه

ومثله قوله كانت لمصر سيرة | بالنيل مذ ولى خلت
كأنه زوج لها | فبعده ترملت

ومن لطائف قوله في مليح فوّال

انا ابن الذي في الليل تسطع ناره | كثير رماد القدر للعبء يحمل
يطوف باقداح العوافى على الورى | ويصبح بالخير الكثير يفوّل

ومنه قوله ولائم زاد لومًا | في أسود أشتهيه
وقال اسود تهوى | فقلت عينك فيه

ومن لطائف مجونه

شاب الحبيب فقلت أهلاً بالوفا ... وازددت فيهِ تعشقًا وتكلفا

والاير قام موفرًا لنصيبهِ ... فالراية البيضا عليهِ في الوفا

ومنه قوله

كم جار صرف الدهر في حكمه ... وضرّني من حيث بي يعتني

ألبسني من شيبتي حلة ... قلت له والله عزيتني

ومما اخترته من نظم الشيخ شهاب الدين ابن ابي حجلة في باب التورية رحمه الله قوله

لي من غدا ظهري عليهِ المنحني ... ولحظه لحظ ظباء رامه

كم قلت من عذاره وقد بدا ... لي خطّه يا كاتب السلامه

ومثله قوله

يقول لي الحبيب ارى عذاري ... يدبّ الحسن من وجهي اليهِ

تكلم في وظيفة حسن خدي ... وقام بنفسه يسعى اليهِ

ومن قوله مع بديع التضمين

قل للهلال وغيم الافق يستره ... حكيت طلعت من أهواه بالبلج

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد ... ذكرت ثم على ما فيك من عوج

(قلت) قد تقدم قولي ان الشيخ صلاح الدين الصفدي والشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة رحمهما الله تعالى كان يرضيان بالرخيص لاجل الكثرة ولم اورد من مقاطيع ابن ابي حجلة هنا الاّ ما وقع عليهِ اختياري ورأيت له في الباذهنج والفانوس مقاطيع كثيرة فمنها ما اخترته في فانوس قوله مع حسن التضمين

وكأنما الفانوس نجم نيرّ ... منع الظلام من الهجوم طلوعه

أعاشق أجرى الدموع بحرقة ... من حرّ نار تحتويه ضلوعه

ذكرت هنا قول مجير الدين بن تميم مع بديع التضمين

انظر الى الفانوس تلق متيمًا ... ذرفت على فقد الحبيب دموعه

يبدو تلهب قلبه لنحوله ونعدّ من تحت القميص ضلوعه

وقال فيهِ شهاب الدين ابن ابي حجلة مع حسن التضمين

يحكى سنا الفانوس من بعد لنا برقًا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليهِ ضلوعه والماء ما سحت بهِ اجفانه

ومثله قوله مع بديع التضمين

انا في الدجا الفى الهوى وبمهجتي حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
فكأنني في الليل صبٌّ مدنف كتم الهوى فوشت عليهِ دموعه

ويعجبني هنا قول مجير الدين بن تميم

ابدى اعتذارًا لنا الفانوس حين بدا في حالة من هواه ليس ننكرها
رأى الهوى مغرًا ما بين اضلعه نار الهوى فغدا بالنار يسترها

ومن نظم الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة في الباذهنج قوله مع بديع التضمين

وباذهنج غدا في الجو منظره من فوق مخبره يبدو على سنن
فانظر فديتك يا محبوب رفعته واستنشق الريح من تلقاه ياسكني

ومثله قوله يا باذهنج كم كذا تعلو على بان الحمى
أبديت حسنًا زائدًا ورفعت رأسك للسما

والطف منهُ قوله مع حسن التضمين

يا باذهنج لا برحت من الهوى مثلي على حب الديار مولها
داري بحبك لم تزل مشغوفة خلعت هواك كما خلعت هوى لها

ويعجبني قوله فيهِ مع حسن التضمين

هجا الشعراء جهلا باذهنجي لان نسيمه ابدًا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه اذا صح الهوى دعهم يقولوا

وقال وقد قدم الشيخ جمال الدين بن نباتة من الشام

يامعشر الادباء غدا تشبيبكم ومديحكم فيما يروق ويطرب

واتاكم ابن نباتة فتفقهوا   اقواله بسكينة وتأدبوا

وممن قنص شوارد التورية بحبائل فكره الشيخ بدر الدين حسن المعري الشهير بالزغاري فمن ذلك قوله عفي عنه

قالت وقد انكرت سقامي   لم ازد السقم يوم بينك
لكن اصابتك عين غيري   فقلت لاعين بعد عينك

ومنهُ قوله

حبست الدمع ثم جعلت جفني   سياجًا ما له قط انفراج
فما زلتم بجوركم الى أن   تجرى الدمع وانخرق السياج

ومنهُ قولهُ

قيل لي اذ رأيت اقمار تمّ   عن بدور السماء للطرف تلهى
اي وجه اضناك قلت دعوني   فسقامي قد صح من كل وجه

ومنه قوله

سلّ لحتفي كالحسام الصقيل   لحظًا حديدًا تحت جفن كليل
ثقيل ردف قادني في دجا   شعر فقوّاد وليل طويل

ومنه قوله واجاد مع بديع التضمين

يقول العاذلون نرى رمادًا   على خدّيه من شعر العذار
فقلت لهم صدقتم غير اني   ارى خلل الرماد وميض نار

ومنهُ قوله واجاد

فتنت بأسمر حلو اللمى   لسلوانه الصبّ لم يستطع
يقطع قلبي ومـا رق لي   ودمعي يرق وما ينقطع

وفوقها في الحسن

سرت من بعيد الدار لي نفحة الصبا   وقد اصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى   ومن تعب انفاسها متتابعه

ومن محاسنه ايضًا قوله

اعجب ما في مجلس اللهو جرى … من ادمع الرواق لما انسكبت
لم تزل البطة في قهقهة … ما بيننا تضحك حتى انقلبت

ومثلهُ قوله

يامن يلوم في التصابي خلني … فأذني عن الملام قد نبت
تصفية الكاسات في شواربي … اضحكت البطة حتى انقلبت

وتلاعب فيهِ ايضًا وقال

انا القليل العقل في صرف الذي … أملكه في كلف المشارب
ولم انل مما اضعته سوى … تصفية الكاسات في شواربي

ومن لطائف اغراضه قوله

يا صاحبا ما زال من انعامه … لثياب راجيه المؤمل رافي
قد قطعت فرجيتي حتى لقد … ظهر القطوع بها على اكتافي

وممن اتى في دقيق التورية بخاص الخاص الشيخ يحيى الخباز الحموي فمن ذلك قوله عفي عنه

قال عذولي والقوم قد رحلوا … وقصده في مقامه حيني
أطلق دموعًا ما زلت تحبسها … وطلق النوم قلت من عيني

ومنهُ قوله

لم انس طيفًا زارني وانثنى … عني وقلبي بعده يخنق
وما كفى حتى دموعي غدت … من خلفه تجري وما تلحق

وقال مضمنًا واجاد

لئن وعدت بالوصل سلمى وأخلفت … فسلها عسى العذر المبين يقوم
ولا تبدها باللوم قبل سؤالها … لعل لها عذرًا وانت تلوم

ومنهُ قوله لقد تعشقت فتى سائبا … يبذل الحاضر بالغائب

مدحته جهدي فلم يرتبط ‏ ‏ وراح كل المدح في السائب

ومنهُ قوله

نعذر من أهواه واسود وجهه ‏ ‏ ورام وصالي عندما لم يكن خلقي

وقالا حكى صدغي نباتاً اجبته ‏ ‏ صدقت لهذا صار يصلح للخلق

ومنهُ قوله

قلت لمن ينتف اصداغه ‏ ‏ لا تكرهوا الريحان حول الشقيق

واعتق شعور الذقن من نتفها ‏ ‏ فانني شيخ احبُّ العتيق

ومنهُ قوله

عاطنيها من عهدي كسرى سلافا ‏ ‏ تتقد في الكؤس كالنيران

وابن ماء السماء زوجه راحاً ‏ ‏ اذكرتنا شقائق النعمان

ومن لطائف اغراضه

أصبحت في العالم اعجوبة ‏ ‏ عند اولى العقول والفهم

جدّي حموي فاسمعوا واعجبوا ‏ ‏ وما كفى حتى ابي وامي

ومن لطائف مجونه قوله

كسبت مملوكاً ومن لطفه ‏ ‏ يسير باللطف على سيرى

سميته خيرا وان يدخل الايريكن خيرا على خير

وقال يهاجي بدر الدين الزغاري

حسن الزغاري احمق ‏ ‏ يابئس من يوافقه

خنقته هجوا وما ‏ ‏ للكلب الاّ خانقه

ومثله قوله

نبح الزغاري عند نظم موشح ‏ ‏ وكمال نظمي بالسفاهة نقصا

فضربته بعصا الهجا لما عوى ‏ ‏ فاصبت مصرعه ولم تضع العصا

ومثلهُ قوله

قل للزغاري الذي من جهله　　أمسى لاقوال الاكابر هازى
هذا ابن قرصة قد سمعت هجاءه　　من ذا يجيرك من يد الجنازى

قلت قد انتهت الغاية في باب التورية الى الشيخ شهاب الدين الحاجبي ولم أظفر بمقاطيعه الّا بما قلّ مع اني كثير الفحص عنها فانهُ كان نسيج وحده في السهولة والانسجام ولحن الالفاظ الرقيقة فمن ذلك قوله

لها عين لها غزل وغزو　　مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي　　فيالك مقلة غزلت وحاكت

ومنهُ قوله　وصفتُ خصره الذي　　أخفاه ردف راجح
قالوا فصف جبينه　　فقلت ذاك واضح

ومنهُ قوله　عودوا لصب بكى عليكم　　يا جيرة ودّعوا وساروا
فدمع عينيه عاد بحرًا　　وقلبه ما لهُ قرار

ومنه قولهُ

لا تبعثوا غير الصبا بتحية　　ما طاب في سمعي حديث سواها
حفظت احاديث الهوى ونضوعت　　نشرا فيالله ما أذكاها

ومن نكته البديعة قوله

لم أنس ايام الصبا والهوى　　لله ايام النجا والنجاح
ذاك زمان مرّ حلو الجنى　　ظفرت فيهِ بحبيب وراح

ووقفت لهُ على قصيدة لامية امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة كلها غرر ودرر في باب التورية

عمّا جرى من ادمعي لاتسألوا　　فمدامعي اخبارها تتسلسل

وما احلى ما قال بعد هذا المطلع

وخذوا حديثًا قد الم بمهجتي　　وازداد حتى اهمانه العذل

منها ثاني المعاطف كنت اول عاشق   في حبه ولكل ثان اول
برنو فيحلو للمتيم لحظه   اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
وتميس منهُ شمائل لم ادر من   مشمولة او حركتها شمائل
متلون الاوصاف سيف لحاظه   ماض ولكن هجره مستقبل
منها اجود لي دهر بطيف خياله   واظنه برجوع ذلك يبخل
ام كيف يأتي الطيف جفنا بابه   بالفتح من ارق الصبابة مقفل

(قلت) نكتة هذا المعنى البديع ختم عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة ومدّ بها أطناب بيت من قصائده والله اعلم من المخترع وهذا بيت الشيخ جمال الدين ابن نباتة

واقسم لو جاد الخيال بزورة   لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومن قصيدة الحاجبي

يا ساكنين السفح كيف حجبتم   عن ناظري البدر الذي لا يأفل
وفعلتم بي مـا يسر عواذلى   ما شئتم يا اهل بدر فافعلوا
لا تحجبوا بيني وبين غزالكم   فعلى حجاز الصد ما لى محمل

ومنها وهو مرقص ومطرب قولهُ

يا صاح عللني بكأس مدامة   عن ذكره ان المحب يعلل
صهباء ان جن الفتى بخارها   فهي الشفاء وفي شذاها المندل

انتهى ما ظفرت بهِ بعد الجهد من نظم الشيخ شهاب الدين الحاجبي تغمده الله برحمته ورضوانه وبالله لقد عزّ على ان تحجب عرائس افكاره في خدور الاوراق فاني لم أظفر من مناهله العذبة بغير هذه النهلة ومن عروبة الشيخ زين الدين بن العجمي في باب التورية قولهُ عفي عنه

سهل الخدود عزيز وصل من يرم   يومًا جنى وجناته لم يستطع
كم رمت لثم الخدّ منه فقال لي   لا تطمعن فكل سهل ممتنع

ومنهُ قولهُ

حبي يمين في يمين الهوى فلا تثق منه بزور المقال
كم قال ما ملت وولى وكم قد سلب العشاق روحاً ومال

ومنهُ قولهُ

وافى وفى كميه ورد احمر حيّا بهِ مذ شب تحت لثامه
فرشفت حلو الراح من خرطومه وجنيت غض الورد من اكمامه

ومن اغراضه البديعة قولهُ

انظر الى الغدران كيف تجعدت أمواجها فزهت وراقت منظرا
وحكت سطوراً من طروس خطها قلم النسيم بلطفه لما انبرى

وقال في القاضي شهاب الدين بن فضل الله

يا عمري الاصل انت مالكي ونافعي بجوده دون البشر
لذا رفعت سندي في حكمكم لمالك لنافع لابن عمر

وقال وقد اهدى لي حلاوة سكب

افضلك ياقاضي القضاة مزية على السحب لا تخفى على من لهُ لبّ
فأول جود الغيث قطر مبدد وغيث نداك الجمّ أولهُ سكب

ويعجبني من زهدياته قوله

عن طريق الذنوب قيدت خطوى خيفة من عقاب عفى التجرى
فاذا لاح نهج برّ تراني فيهِ أمشي أبغي ثوابي وأجرى

(قلت) وقد عنّ لي ان اورد للشيخ زين الدين بن العجمي هنا نبذة من المواليا فانهُ كان فارس ميدانها وقائد عنانها فمن ذلك قوله

للحبّ قالوا معناك الذي اذبتلو جدلو بقبله فعقلو فيك خبلتو
فقال اقسم لوان البوس سبلتو ومات للشرق ما درتو وقبلتو

ومن اختراعاته فيها قوله

حشيش عارضك الاخضر بدا تخطر هدو   في روض وجنتك يجدو للصبا به حدو
والوهم ما ضرّ خدّك يا رخيم الشدو   الاّ لان حشيشو قد طلع في بدو

ومنهُ قوله

شدو الحامل فصرت ساعة التحميل   ملهوف لاحمل بعنبي ولا تحميل
والعين قد حلفت يا بدر في الكميل   لاتكتحل بالكرى ان غبت عنها ميل

ومنهُ قولهُ

يامن على الخلق أذيال المكارم جرّ   وقد سلب نوم أجفاني وعني فر
يحل لك ان قلبي ياغزير الدّر   مالو قرار ودمعي بجر وانت البر

وممن فتح الله لهُ هذا الوصيد القاضي فتح الدين بن الشهيد فمن ذلك قوله

بستان حسنك أينعت ثمراته   واهًا لغصن قوامك الميّاس
في صدره رمان نهد زانه   حلى يوسوس في صدور الناس

ومنهُ قولهُ

أفدي التي ساقت حروب الهوى   بحسن ساقيهـا لمشتاقها
جادلت عذالي على حسنها   فقامت الحرب على ساقها

ومن اغراضه البديعة قوله

ولقد أتيت لبعلبك فشاقني   عين بها روض النعيم منعم
فلاهلها من أجلها انا مكرم   ولاجل عين الف عين تكرم

ومنهُ قولهُ

قاسوا حماة بجلق فأجبتهم   هذا قياس باطل وحياتكم
فعروس جامع جلق ما مثلها   شتان بين عروسنا وحماتكم

فاجبته ورياحين التشبيه غضة

والله ان حماة شامة شامكم   وعروسها بمحاسن متزايده

ودمشقكم بعذارها الثلجي قد ولّت شبيبتها وأمست بارده

ومن لطائف القاضي فتح الدين بن الشهيد قوله وقد أُحضر له عوّاد يسمى طائر بغا بسفارة الحاجب توكل

نهاري أنس كله بمنادم على عوده يغزو الحشا بتبابل
وكنت اراه طائرًا عز مطلبًا ولكنني حصلته بتوكل

وقال وقد حضر عنده من يلعب بالقانون

غنى على القانون حتى غدا من طرب يهتز عطف الجليس
داوى قلبًا من عليل الاسي وكان فيها من هواها رسيس
فصاحة الجلاس عجبًا به ياصاحب القانون انت الرئيس

ومن نكته الغريبة اللطيفة التي هو احق بها من غيره لكونه صاحب ديوان الانشاء بالشام المحروسة قوله

كانت فتاتي لنظم بيتي قرينة برة امينه
بكيتها والحمام قامت بالسجع في ندبها معينه

ومن لطائفه وقد جهز لبعض اصحابه رسالة القلب وهي ما لا يستحيل بالانعكاس وحمل بعدها قوالب سكر قوله

رسالة القلب بها خدمتي تقدمت في الزمن الذاهب
وها انا ارسل من بعدها قوالب السكر في الواجب
ليعلم المخدوم اني امرؤ أخدمه بالقلب والقالب

وكتب على عمارة بيته

بنيت على وفق المكارم والعلا فللفتح ابوابي وصدري للضم
سنا الملك يبدو من موشح زينتي ومن أجل ذا دار الطراز على كمي

وكتب على الرفرف

رفعتك ماشاء الترفع رفرفا ازين سمائي بل ازين سماحي

فلابدع ان الناس يهوون الهجي ويمشون في ظلي وتحت جناحي

وكتب على مجلس بيته

يامن ينزه في حسني نواظره اسمع صفات بها قد فقت أمثالي

اني مقام مفرّ عز جانبه ودون قدر مقامي المجلس العالي

وممن اتصل بهِ حبل التورية ومشى تحت العلم النباتي الشيخ عز الدين الموصلي فمن ذلك قوله

يقول وقد بدا قمرًا وغصنا حباه حسنه هيفا بلين

تنشق مسك اصداغي حلالاً فهذا الطيب من عرق الجبين

ومنهُ قولهُ كالزمرد المنظوم اصداغه وخدّه كالورد لما ورد

بالغت في اللثم وقبلته في الخد تقبيلاً يفك الزرد

ويعجبني من نكته الغريبة قوله

وحاجم في الكأس اجرى دمًا في ساق ساقينا باشفاق

لكنهُ خالف في شرطه وحكم الكأس على الساق (ى)

ومما تلطف بهِ الى الغاية

أعدى سقام جفونه جسمي فاعدمني الكرى

حتى اعتللت بسرعة مثل النسيم اذا سرى

ومنه قوله

خضرة الصدغ والسواد من العين بياض المشيب قد اورثاني

واحمرار الدموع صفر خدّي كل ذا من تلونات الزمان

ومنه قوله

حديث عذار الحب باد وساقه له أوجه تبدى لقلبي اشتياقه

درى اننا نصغي الى الحسن كلنا فابدى لنا ذاك الحديث وساقه

ومنهُ قوله يامقلة الحسن مهلا فقد أخذت بثارك

وانت يا وجنتيه لا تحرقينا بنارك

ومنهُ قوله

عيني افاضت دموعي من طول صدٍّ وبين
ووجنة الخدّ قالت رأيت غسلي بعين (ي)

ومنه قوله

حديث عذار الحب في خدّه جرى كمسك على الورد الجني مسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه كان لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

ومنهُ قولهُ

عاتبت حبي على تأخره وقد تعنى برجّة الردف
وقال هذا الثقيل اخرني عن سرعتي لانقطاعه خلفي

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

لحديث نبت العارضين حلاوة وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا تجافي المرد قلت تمهلوا فاليكم هذا الحديث يساق

ومثله في اللطف قوله

هجروك البيض لما نصل الصبغ فضرك
كشف الدهر المغطى يا جميل الستر سترك

ومنهُ قولهُ

وبي ناتف للعارضين يقول صف نبات عذار زان في الحسن منظرى
فناديت يا حلو الشمائل ما الذي يقول لساني في النبات المكرر

وقال فيمن لقب بالزاغ

قد لقبوا بالزاغ ذا حنكة كواه ذا التقليب في القلب داغ
وهو غراب البين في شؤمه لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

وقوله في تمنع الدمشقي

وذى ادب لطيف الذات جدًّا طلبت الوصل منهُ فما تمنع

ودب لاخذ ايري قلت من ذا   فناداني   باشفاق   تمتع

ومنهُ قوله   مذ نام أيري قال لي   افمهُ يحظى بالوصول

فقلت فيه قصر   فقال ذا شيءٌ يطول

ومن نظمه بعد الاقلاع

يارب ان العبد عبد مذنب   وهو فقير ما لهُ عنك غنى

قد قطع اللذات في شبابه   بجهله فاغفر لهُ ما قد جنى

(قلت) وممن عاصر الشيخ عز الدين الموصلي في دمشق المحروسة ومشي تحت العلم النباتي الشيخ علاء الدين ابن ايبك الدمشقي رحمهُ الله وكان المتعصبون على الشيخ عز الدين يناظروه بالشيخ علاء الدين المذكور ولعمري هذه المناظرة مما صدرت ممن عنده نظر فمن محاسن الشيخ علاء الدين في هذا الباب قوله رحمهُ الله وعفي عنهُ

سلطان حسن أفتديه بناظري   وأعيذه من نظرة الشيطان

يوماً بزهر اللوز لما زارني   قضيت ذاك اليوم بالسلطان

ومنهُ قولهُ

اقول وقد ظمئت ووجه حبي   لهُ عرف على ورد الخدود

ارى ماء وبي ظماء شديد   ولكن لا سبيل الى الورود

ومنهُ قولهُ أحببت من حيا لهُ وجنة   مشرقة حمراء شبه اللهب

قالوا الشهيدية أعطافه   فقلت والردف تابل الذهب

ومن لطائف مجونه

تلطف واحتمل مزح الغواني   وان أوجعن منك الظهر دقا

وجيدك ان يلق الصنع فاصبر   فان الجيد في الدنيا ملقى

وممن عاصر الشيخ عز الدين والشيخ علاء الدين بدمشق المحروسة وانتظم في هذا السلك وكان من فرائده الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا فمن ذلك نظمه

في هذا الباب قوله

شهدت جفون معذبي بملالة   مني وان وداده تكليف
لكنني لم انأ عنهُ لانهُ   خبر رواه الجفن وهو ضعيف

وقوله ايضًا

تقول وقد اتتنى ذات يوم   مخبرة عن الظبي الجموح
يسرك أن اروح اليهِ اجرى   فقلت لها خذي مالي وروحى

ومثلهُ قولهُ

يا معشر الاصحاب قد عنّ لي   رأى بزيل الحمق فاستظرفوه
لا تحضروا الاَّ باخفافكم   ومن تثاقل بينكم خففوه

ومنهُ قولهُ

تصفحت ديوان الصفى فلم اجد   لديه من السحر الحلال مرامى
فقلت لقلبي دونك ابن نباتة   ولا تقرب الحلىّ فهو حرامى

(قلت) الشيخ جلال الدين رحمهُ الله تعالى لم يرد من السحر الحلال الذي ما وجده في ديوان الصفي غير التورية وما ذاك الا ان الشيخ صفى الدين كان اجنبيًا منها ولهذا لم انظمهُ في سلك الجماعة الذين مشوا في نظم التورية تحت العلم الفاضلي والعلم النباتي وغايته انهُ رضي بالشعر الساذج المنسجم وتعرض الى التورية في بعض المواضع ولكن سبكها في غير قوالبها لانهُ لم يكن في طباعه ويأتي الكلام على ذالك في موضعه ان شاء الله تعالى ومن نظم الشيخ جلال الدين غفر الله لهُ والمعنى في مراده مفهوم قوله

ذكر المصطفى ثلاثين دجا   لاَّ يجيئون في قيام الساعه
فيهم أعور وقد صح بالبر   هان ان جا كواحد من جماعه

وممن عاصر المشار اليهم بدمشق المحروسة وشبب الناس طربًا بمواصيل مقاطيعه الشيخ شمس الدين الشهير بابن المزين اخذه اللنك اسيرًا من دمشق الى سمرقند فرأى

النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وبشره بعوده الى بلاده وان تكون وفاته بها فتوصل بعد هلاك اللنك الى البلاد ولم يعش الاّ قليلاً حتى درج بالوفاة الى رحمة الله تعالى وامر قبل وفاته أن يبنى له تربة بدرب الصالحية على قارعة الطريق وأن يكتب من نظمه على قبره قوله

بقارعة الطريق جعلت قبري لاحظى بالترحم من صديق
فيا مولى الموالي انت أولى برحمة من يموت على الطريق

ومن لطائفه في باب التورية قوله

مدير الكاس حدثنا ودعنا بعيشك من كؤوسك والخبيث
حديثك عن قديم الراح يغني فلا نسقى الانام سوى الحديث

ومن نكته التي استحقها على ابن نباتة وابن الوردي قوله

وتاجر أسكرني طرفه والكاس فيما بيننا دائر
وقال لي سرّك قلت اسقني جهرًا على عينك ياتاجر

وانشدني من لفظه لنفسه

ومليح لالاه يحكيه حسنا فهو كالبدر في الدجا يتلالا
قلت قصدي من الانام مليح هكذا هكذا والاّ فلالا

وانشدني من لفظه لنفسه ايضًا

شارب ورد الرياض من ورد خدّيك وأنفرك
فلذ الناس أثبتوا وانتفى الورد للكرك

ومن نكته اللطيفة قوله

قلت للاحدب لما ان رأى الوجد علانى
انا ابقى وبوجدي أنت يا أحدب فانى

ومن اغراضه البديعة قوله

نزلنا بالقصير فرام قلبي مليحًا بالعذارى الغيد أزرى

فلما ان تعذر مال عنه   فؤادي والجوانح نحو عذرا

ورسم ملك الامراالجوباني وهو اذ ذاك كافل المملكة الشريفة الشامية ما ينقش على اسنة الرماح ولكن تطاول الشيخ شمس الدين ابن المزين برمحه على أقرانه في ذلك العصر حيث قال

انا اسمر والراية البيضاء لي   لا للسيوف وسل من الشجعان
لم يحل لي عيش العداة لانني   نوديت يوم الجمع بالمرّان
واذا تعانقت الكماة بجحفل   كلمتهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنمًا تساق الى الردى   قهر المعظم سطوة الجوبانى

ومن لطائف مجونه

سلماني اضافني   لبنًا ما له ثمن
بيض الله وجهه   كلما جاء باللبن

ومن اغراضه البديعة قولهُ

حمل الدواة فرمتها   منهُ مرامة عاشق
قالت اذن ما أنت يا   قلم الديار بلائق

ومن مقاطيعه التي سارت بها الركبان قوله

انا دواة يضحك الجود من   بكا يراعي جلّ من قد براه
دلّوا على جودى من مسه   داء من الفقر فاني دواه

ومما فرزته للشيخ شرف الدين عيسى العالية في باب التورية قولهُ

لما رأوه مضاجعي تحت الدجا   حجبوه عن عيني حتى أسهرا
قبلت خالاً فوق كعبة خدّه   قبل الوداع وما انيت المشعرا

ومنهُ قولهُ

ومليحة راودتها فتعللت   بالحيض وهي تقول كالمذعور
هل موضع خال فقلت لها اسكني   فمواضعي ليست تعد ودوري

ومن لطائف مجونه قوله

قالت لي الفروة قم دفني حتى ادفيك بقلبين
قلت لها بالله ما تشتهي قالت غشاء قلت على عيني

ومن مجونه مع الشيخ بدر الدين البشتكي قوله

البشتكي المكدى * ذو ابنة ليس تشفى قد مدّ للنيك رجلاً * وللخلائق كفا

ومنه قوله فيه

البشتكي البدر له لحية كلحية الراهب مشعوره
قال انا اشعر هذا الورى قلنا له فاستعمل النوره

ومثله قوله

ايا معشر الصحب مني اسمعوا مقالى وكس اخت من يشتكي
الا فالعنوا آكلين الحشيش وبولوا على لحية البشتكي

ويعجبني من مدائحه

تهن بنصف كم له من حلاوة وجد لى بفضل لا يضيع ثوابه
فان لساني صارم وفمي له قراب وارجوان يحلى قرابه

ومنه قوله

ايا رب الجناب الرحب جد لى وكثر في العطاء ولا تقلل
وما تعطيه لى من خشكنان نهار العيد كبّر او فهلل

ومنه قوله

لفضلك يا ابن فضل الله اشكو برأسي البرد من يومي وامسي
وارجو الشاش شمسيا فاني اروم النور من برد بشمس

(قلت) الشيخ شرف الدين عيسى العالية وعصريه الشيخ شهاب الدين بن العطار الآتي ذكره بعده رحمهما الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكي فسح الله في أجله لم أجد في أغزالهم من المقاطيع ما يغازل عيون التورية ولكن وقفت لهم على

اغراض هي فوق الغرض فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين بن العطار عفي عنهُ

اصبحت بطال والاولاد اربعة   محمد وثلاث موتهم يجب
فان تحيل في رزق بمدحكم   ابو محمد البطال لا عجب

ومن ايهاماته في هذا الباب قولهُ

طلبت رزقًا قيل رح ناظرًا   جيوش سيس قلت رأيِ نعيس
لو لم تك الدولة في سلطة   ما طلبوا اني أبقى بسيس

وقال في شرف الدين عيسى المذكور

عيسى ومن مدحوه   ما شمت فيهم رئيسا
وما رأيت اناسًا   الكن حميرًا وعيسا (وعيسى)

ومثلهُ قولهُ في طاهر ابن حبيب

تجادل شافعي مع مالكيٍّ   وهذا البحث عند الناس ظاهر
فقال الشافعى الكلب نجس   وقال المالكي الكلب طاهر

ومن لطائف مجونه قوله

هيأ البلان موسى   خلوة تحيي النفوسا
قلت ما اصنع فيها   قال تستعمل موسا (موسى)

ومن محاسن الشيخ عبد الله السوسي في باب التورية قولهُ

أهوى غزالاً عليهِ صبري   قد بان في الحب وهو عذرى
قد أسرت مقلتاه قلبي   فرحت مملوكه بأسرى

ومن اغراضه اللطيفة قولهُ

تهاون شمس الدين بى وهو صاحب   واظهر لي أضعاف ما تظهر العدا
نزلت بهِ أبغى الندى وهو طالع   وعند طلوع الشمس يرتفع الندى

ومنهُ قولهُ

زجرت النفس عن نذل لئيم   اقرّ بموعدي غلطًا وأنكر

وقد ذكرتـه عنهُ مرارًا   وهيهات المؤنث لا يذكر

ومنهُ قولهُ

تجنب أقطعا لصًّا جريئًا   يحن الى الجناية كل ساعه
وما قطعوه بعد الوصل الاَّ   ارادوا كفه عن ذي الصناعه

وممن احسن المباشرة في الديوان وملأ الدفاتر بمحاسن التورية الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمهُ الله فمن ذلك قولهُ

بابي عقيقة مرشف   برت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها   وقطعتها من حيث رقت

ومنهُ قوله

زارت معطرة الشذا ملفوفة   كي تختفي فأبى شذا العطر
يا معشر الادباء هذا وقتكم   فتناظموا في اللف ثم النشر

ومنهُ قولهُ

يقول مفندي اذ همت وجدا   بخدّ خلت فيهِ الشعر نملا
ايعرف خدّه للعشق أهلا   فقلت لهم نعم أهلا وسهلا

ومنهُ قوله

ان الهواءين يا معشوق قد عبثا   بالروح والجسم في سرّ وفي علن
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت   والجسم حوشيت بالمقصور في كفن

وقال موريًا مع بديع التضمين

ومقلة ظبي برشق القلب سهمها   ولكنهُ رشق يزال به الهم
على نفسه فليبكك من ضاع عمره   وليس لهُ منها نصيب ولا سهم

وقال ايضًا عارض المحبوب من فو   ق صفاء الخدّ فاتن
شبه ورد زاد لطفًا   حول ماء غير آسن

ومن لطائف مجونه مضمنًا

قلت يا لائمي على بذل مالي ... في هوى الحبّ دع كلام الفشار

فعلى فلس ذا يناح ويبكي ... لا على درهم ولا دينار

ومثله قوله شكى اليَّ اليتيم مذ نكته ... مراهق فيهِ حلا هتكى

بت اسليه على يتمه ... وكلما سليته يبكى

ومثله قوله سكر الشيخ وطابا ... واشتهى الشيخ شبابا

حسب الخمرة صابا ... وجد الراح شرابا

وقال يمازح السراج الاسكندري

قل للسراج اذا تكبر ... حيث بالقوم احتمى

انت السراج بعينه ... لو شلت انفك للسما

ومثله قوله فيهِ

ياذا السراج اشتري ايري فانت بهِ ... أولى وذلك للحق الذي وجبا

سكندري وتدعى بالسراج وذا ... مثل المنار اذا ما قام وانتصبا

وقال في الوزير ابن النشو

انشا قطيم النشو لما ارتقى ... وزارة زادته في وزره

بالجامع العمري سبيلاً وقد ... قال لنا عنهُ بنو مصره

هذا سبيل حاله فاسد ... وزيره يرشح من قعره

ومن اغراضه البديعة قوله

لولا الزمان للمحال قابل ... ما سلسلوا مطلق كل جدول

وأصبح الدولاب في رياضه ... يقول بالدور وبالتسلسل

وقال في ولده مجد الدين

أرى ولدي قد زاده الله بهجة ... وكمله في الخلق والخلق مذ نشا

سأشكر ربي حيث اوتيت مثله ... وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن بدائع مدائحه قوله في السيد فخر الدين نقيب الاشراف

جناب فخر الدين كهف الورى ··· دامت له النعماء لا تنقضى
فهو الشريف الحسن المرتضى ··· وخلقه ذاك الشريف الرضى

وقال يمدح الامام عليا رضى الله عنه

يا ابن عم الرسول ان اناسا ··· قد توالوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم في الحقيقة باب ··· يا اماماً وما سواك مجاز

ويعجبني حسن خواتمه

واسوأتاه اذا وقفت بموقف ··· ما مخلصي فيه سوى الاقرار
وسواد وجهي عند أخذ صحيفتي ··· وتطلعي فيها شبيه القار(ى)

ومن محاسن والده في باب التورية على طريق الجماعة

وأغيد بت في نا ··· ر عشقيه أتقلى
رمى من اللحظ سهماً ··· به نموت ونبلى (لا)

ومنه قوله قالوا وقد عبثت بنا ··· قاماتهم والاعينا
ان رمت تلقانا فلج ··· بين السيوف والقنا

ومنه قوله

يقولون هل منّ الحبيب بزورة ··· ومناكم المطلوب قلنا لهم منّا
فقالوا لنا غوصوا على قدّه ··· وما يحاكي اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

ومنه قوله بحق الله دع ظلم المعنى ··· ومتعه كما يهوى بأنسك
وكف الصد يامولاي عمن ··· بيومك رحت تهجره وأمسك

ومنه قوله قال خلي لحبيبي صل فتى ··· بك قد أضحى معنى مغرما
قال هل يولم ان واصلته ··· قلت ان فاز بثغر أولما

ومنه قوله

يا لائمي ان فقدت الصبر في قمرٍ ··· أصداغه سلبت أهل الهوى وسبت

كلت سيوف اصطباري عنهُ حين بدا　　آس العذار على وجناته ونبت

ومنهُ قوله

من مجيري من سادة ألفوا الهجـــر لعشاقهم　　وزادوا النفارا
سأل الدمع ان يجيروه قالوا　　مثل هذا في حيّنا لن يجارا

ومن اغراضه اللطيفة قوله

ربّ خدٍّ بالعدل قوما　　أهل ظلم متوالى
كلفوني بيع خيلي　　برخيص وبغال (ى)

ومن لطائف مجونه قوله

سحقا لذي نظم يهيج من البغا　　ويثير في هجوا الكرام عجاجا
أقصيته عني فظل يسبني　　ومنعته ايري فذم وهاجا (ى)

ومن مدائحه يهني والده بعوده من السفر

هنيت يا ابتي بعودك سالمـًا　　وبقيت ما طرد الظلام نهار
ملئت بطون الكتب فيك مدائحًا　　حتى لقد عظمت بك الاسفار

ويعجبني من زهدياته قوله

جزا الله شيبي كل خير فانهُ　　دعاني لما يرضى الاله وحرضا
فاقلعت عن ذنبي واخلصت تائبًا　　وأمسكت لما لاح لي الخيط أبيضا

ومن دخلت التورية الى بيوته الظاهرة لاشتمال البركة وأحسنت السلوك في حركتها تأدبًا فكانت سعيدة الحركة هو سيدنا ومولانا الشيخ الامام العارف المسلك القدوة بقية السلف الطاهر ابو الفضل بن ابي الوفاء اعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركته وبركات أسلافه الطاهر فمن ذلك قوله

عبدك الصب المعنى　　عرف الفقر وذاقه
فلكم فاخر محنا　　جا شكا فقرًا وفاقه

ومن اختراعاته مع بديع التضمين قوله

ما خادم واسمه في درّ مبسمه — الأ اغنّ غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التي انتظمت — كأنه منهل بالراح معلول (مع لولو)

ومن اختراعاته في باب التورية قوله

على وجنتيه جنة ذات بهجة — ترى لعيون الناس فيها تزاحما
حما ورد خدّيه حماة عذاره — فياحسن ريحان العذار حما حما (حمى حمى)

ومثله قوله

أرسلت عينيّ بدمعيهما — بين يدي من قد تماد جفاه
أسأله في فمه قبلة — فلم يميلاه ولم يعطفاه (يعط فاه)

ومثله قوله — سألتها رشف ريق — مستعذب الطعم حلو
قالت فصفني ارتجالا — فقلت بعد التروى

ومثله قوله — ازداد خدّك شعرا — فازداد قلبي حبّا
اذ كان وردك جمري — فيه فصار مربّى

ومثله في الحسن قوله

ألا لا تلوموني فلست بمقلع — اذا انحدرت من كأسها الراح في حلقى
سأوى الى بحر من الخمر مترع — احط المراسي عنده فامل لي واسقى (وسقى)

ومنه قوله

ذكرك لي في اللوم مستحسن — واللوم عندي غير مستحسن
كم قلت للمعرب في لومه — ان جئت نحوي قط لا تلحن (نى)

ومن لطائف قوله مضمنًا

وخل سمته صفعا بمال — فقال توازعوه يا صحابى
اذا الحمل الثقيل توازعته — اكف القوم هان على الرقاب

ومن اغراضه البديعة قوله

تعنت دهر لج فينـا بخطبه　　وذللنا من بعد عزّ وانكانا
قسى وانثنى يختال في جبروته　　وجرر أذيالاً علينا واردانا

انتهى ما اوردتهُ هنا من كلام سيدنا الشيخ ابي الفضل بن ابي الوفاء اعاد الله علينا من بركته وبركة أسلافه آمين وانشدني في ذلك العصر من لفظه لنفسه صاحبنا الشيخ شمس الدين المتنبي تغمده الله برحمته قوله

ترى يبدو لخمرة بعض مابى　　ويرثي لي وينظر في بلائى
واشفى بالمبرد من لماه　　وأجمع بين حمزة والكساء (ى)

(قلت) ومما اختاره سيدنا الشيخ الامام العلامة الحافظ ابو الفضل احمد بن حجر العسقلاني الشافعي روى الله من سحائب الرحمة ثراه من نظمه لنفسه رحمهُ الله في باب التورية وكتبه بخطه الكريم وأتحف بهِ العبد لينظمه في عقود هذه الاسلاك فمن ذلك قولهُ في الديباجة

يا سيدًا طالعه　　ان راق معناه فعد
وافتح لهُ باب الرضى　　وان تجد عيبًا فسد

ومن بديع نكته في اغزاله

سألت من لحظه وحاجبه　　كالقوس والسهم موعدًا حسنا
ففوق السهم من لواحظه　　والقوس الحاجبان واقترنا (وقت رنا)

ومنهُ قولهُ　سألوا عن عاشق في　　قمرٍ باد سناه
أسقمتهُ مقلتاه　　قلت لا بل شفتاه

ومنهُ قوله

اتى من احبابي رسول فقال لي　　ترفق وهن واخضع تفز برضانا
فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا　　فصار عزيزا حين ذاق هوانا

ومنه قوله　بان سرّي من دموعي　　حين بانوا وافتضاحي

كم جهات ملأت من فرط حزني ونواحي

وقال موريًا مع بديع الاقتباس واجاد

خاض العواذل في حديث مدامعي لما رأوا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكم حتى يخوضوا في حديث غيره

ومثله في الحسن قوله

يا عاذلي وسهام اللحظ ترشقني عن قوس حاجب بدر خدّه قبسي
ان تستطع لنجاتي في الهوى سببًا فاستنبط السلم لي من اسهم وقس

ومنه قوله

ولم أنس اذ زار الحبيب بروضة فغارت من المعشوق أعينها المرضى
ولاحت بخدّ الورد حمرة خجلة حيا ورأينا طرف نرجسها غضّا

ومثله قوله واجاد

يا مبدعًا في حسنه واصل اخا همّ له عام وما واصلتنا
فقال هل صيف في مشتاه قلت نعم وفي هموم شتى

ومن اتفاقاته البديعة قوله

أحبب بوقاد كنجم طالع أنزلتهُ برضى الغرام فؤادي
وانا الشهاب فلا تعاند عاذلي ان ملت نحو الكوكب الوقاد

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

نحن اهل الهوى بلوناه قدما بين خوف من هجره وامان
وشربنا خمر الجفا كل حين بكؤوس قد أترعت واوان (ني)

وقوله ايضًا

ورشا مذ نشا وعينا التصابي بعد ما كان ذا اشتباه علينا
وجهلنا الغرام حتى ارانا منهُ تحت اللثام خدًّا وعينا

ومنهُ قولهُ وبدر نمّ جميل محجب بالدلال

اذا هممت باني أسلو هواه بدالى

ومثله في الحسن قوله

وأهيف حياني بطيب وصاله ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لي الكاسين خمرًا وريقة ونزهني عن جفوة وملال (لى)

ومثلهُ قوله

تجرد من احب فقال لي من بلوم واظهر الحسد المكتم
اجاد لك الحبيب بلمس جسم لهُ كالخز قلت نعم وأنعم

ومن لطائف مجونه قولهُ

تيه فلان الدين مع فقره أقوى دليل انهُ جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه قعاقع ما تحتها طائل

ومن اغراضه البديعة قولهُ

اشكو الى الله ما بي وما حوته ضلوعي
قد طابق السقم جسمي بنزلة وطلوع

وقولهُ وهو ما كتبه على مجموع الكرماني

نظرت لما سطرته من فوائد لها الفضل اذ وافت محاسنها يعزى
فالله ما سطرت منها لخاطري فلم يكف طرفي منهُ شيءٌ ولا اجزا

ويعجبني من وعظياته قولهُ

يا ايها الشيخ المطيع هواه دع هذي الرعاية قد اتى داعي الردى
وخيوط هذا الشيب لا تنسج بها ثوب التصابي فهي ماخلقت سدى

ومثله قوله

خليليّ ولي العمر منا ولم نتب وننوي فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبني بيوتًا مشيدة وأعمارنا منا تهد وما تبنى (تبنا)

ومن لطائف علامة العصر وفريد الدهر الشيخ بدر الدين بن الدماميني المالكي

المخزومي فسح الله في أجله قوله

قلت لهُ والدجا مولّ　　ونحن في الانس بالتلاقي
قدعطس الصبح ياحبيبي　　فلا تشمته بالفراق

ومنهُ قولهُ　يا عذولي في مغن مطرب　　حرك الاوتار لما اسفرا
لم يهز العطف منهُ طربًا　　عند ما تسمع منهُ وترا (ى)

ومنه قوله

يقول بديوان الملاحة أوردوا　　محاسن حبي فهو في الحسن مفرد
فوردت في الديوان عامل قدّه　　فقال وذاك الخدّ قلت مورد

ومنهُ قوله

وبي وجنة حمراء زاد صفاؤها　　فأبدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمي ينهى عن الحب جهده　　فما انا بالسالى صفاها ولونها (ى)

ومنهُ قوله

اذاب أحشائي هوى صائغ　　قلت لهُ والقلب رهن لديه
اني على فيك أرى خاتمًا　　فهل ترى يقعد نقشي عليه

ومنه قوله

تناسب أوصاف من وصله　　ينفي عن القلب جميع الكرب
في الخدّ تسهيل ومن ثغره　　يطيب للصب ارتشاف الضرب

ومنهُ قوله لاما عذاريك هما اوقعا　　قلب المحب الصب في الحين
فجد لهُ بالوصل واسمح بهِ　　ففيك قد هام بلا مين

ومنه قوله

قلت لعطار بهِ صبوتي　　محمودة والصبر لا يستطاب
أسقيتني كأس غرام بهِ　　ذبت ومن فيك براني الشراب

ومنهُ قوله　في ليلة البدر أتى　　حبي فقرت مقلتي

وقال لي يابدر قم   فقلت هذى ليالي

ومثله في الحسن قوله

قم بنا نركب طرف الـلهو سبقًا للمدام

واثن ياصاح عناني   لكميت   ولجام

ومن اغراضه اللطيفة قولهُ

اقول لخل جنَّ من فرط ماله   ورابى فاسقى الناس كأس عذاب

صفاتك يا هذا لعمري تناقصت   لانك ذو مال وانت ترابى

وقوله ايضًا ياسريا معروفه ليس يحصى   ورئيسًا زكا بفرع واصل

مذ علا في الورى محلك عزًا   قلت هذا هو العزيز المحل (ى)

وكتب الى شهاب الدين الفارقي

قل للذي اضحى يعظم حاتما   ويقول ليس لجوده من لاحق

ان قسته بسماح أهل زمانـه   أخطا قياسك مع وجود الفارق (ى)

ويعجبني من اغراضه البديعة قولهُ

لئن عقدت بنت الكروم عقودها   على نفى حمل الهم والهم زائد

فنحن شهود في المقام لعقدها   على أولياء اللهو واللوز عاقد

ومن نظم بدر الدين البشتكى في هذا الباب قولهُ

بدا بوجه جميل   قد شرف الحسن قدره

في شمس كل صب   يودّ يبذل بدره

هذا الذي ظفرت بهِ من اغزاله ومن مجونه قولهُ

وافى بذقن بعد ان   قاسيته حلوًا ومرًا

فقبضت لحيته وأيـري في استه وهلمّ جرا

وقال يماجن الشيخ شهاب الدين الحريري

اقول لناتف خدّيه مهلاً   أترضى اللائطين مدى الدهور

فدع نتف العوارض عنك كيما تناك بلحية مثل الحرير (ى)

ومثله قوله في الشيخ بدر الدين بن الدماميني المخزومي

تبًّا لقاض جار في احكامه حتى على المنثور والمنظوم
خان الشريعة مذ اطاع بني وفا وانقاد للفساق كالمخزوم (مي)

ومن مدائحه قوله

وقاس الورى بالنيل نائلك الذي حلا وصفا والنيل يبدو مرنقا
فقلت وهل ينقاس من خلقه الوفا بمن بالوفا في العام يومًا تخلقا

وكتب اليه الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلاني في رمضان

أليس عجيبًا بأنا نصوم ولا نشتكي من اذى الصوم غما
ونسغب والله في نسكنا اذا نحن لم نرو نثرا ونظما

فاجابه الشيخ بدر الدين بقوله

الا يا شهابًا رقى في العلا فامطرنا نوؤه العذب قطرا
الى فقرة منك يا فقرنا ونستغن ان قلت نظمًا ونثرا (ى)

وما فضل لي من صبابات هؤلاء الفضلاء في مناهل التورية قولي

هويته اعجميًا فوق وجنته لامية عوذتها أحرف القسم
في وصفها السن الاقلام قد نطقت فطال شرحي في لامية العجم (ى)

قلت وارجو الله اني لم اسبق فيما اوردته هنا من قولي

خال الحبيب يقول لى لما بدا من تحت عارضه كسرٌ غامض
انا فارضيٌّ في الغرام بخدّه فغدا مقامي تحت ذيل العارض

وقلت ايضًا

عزمت على السلو لطول هجري فجاءتني عوارضهُ تعارض
وكان العذر يقبل في سلوى ولكن ما سلمت من العوارض

وقلت فيهِ

دويرة العارض عني حميت	برشقة من جفنه مشتقة
فاترك ملامي ياعذولي انني	قتلت بين دورة ورشقة

وقلت ايضاً

ولما رآني الشعر وهو مذبل	وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف
بدا بخمار من خمار بريقه	فقلت لهم هذا الجناس المحرف

وقلت ايضاً

اقول لثغر الحب مت ولم اجد	سبيلاً الى برد الحشا يا اخا الصفا
فقال ارتشف من خمر ريقي نهلة	الم تره من برده قد تقرقفا

وقلت ايضاً

ماس في الروض وانثنى	بخدود مورّده
فرأينا غصونه	وهي خشب مسنده

وقلت موريًا ومكتفيًا ومقتبسًا

قالوا وقد فرطت في تصبري	ومـا يرى بوصله سقاما
اصبر عسى تسقى بماء ريقه	قلت لهم ياحسرتا على مـا

وقلت ايضاً

ارخت لنا ذوائبًا من شعرها	عشرا وفرق الفجر فيهم يسرى
فصرت بالفجر لها معوذا	لما بدت بين ليال عشر

وقلت موريًا مع بديع التضمين

سرنا وليل شعره منسدل	وقد غدا بنومنا مضفرا
فقال صبح ثغره مبتسما	عند الصباح يحمد القوم السرى

ومثلهُ قوله

تنكر الخال علينا عندما | سال عليهِ العارض المسلسل

فعنهُ سلني ان ترد تعريفه فانهُ منكر يا رجل

ومثلهُ قولي

قف واستمع طربًا فليلى في الدجا بانت معانقتي ولكن في الكرى
وجرى لدمعي رقصة لخيالها اترى درى هذا الرقيب بماجرى

ومثلهُ قولي كم صحت في ظلمة الليالي وبلاه من نومي المشرد
والدمع في وجنتي ينادي اواه من شملي المبدد

ومثلهُ قولي

يقول معذبي حسن تخير سواي فقلت قد عز اصطباري
وكم في الناس من حسن ولكن عليك لشقوتي وقع اختياري

وقلت ايضًا

اقول لهُ قد ذبت من كثرة الجفا وقد رمت قتلي عامدًا متعمدا
فقال تداو اليوم من شهد ريقتي وكن في غد ان مت ممن تشهدا

وقلت ايضًا أرشفني ريقه وعانقني وخصره يلتوي من الدقه
فصرت من خصره وريقته اهيم بين الفرات والرقه

وقلت ايضًا ابصروا عند وداعي عقدها وهو مفرط
لمنها في ذاك قالت برح الشوق وأفرط

وقلت ايضًا ابدى ابتسامًا بليل قلنا أعدت نهارك
فقال ثغري صباح قلنا صباح مبارك

وقلت ايضًا سجدت جفوني هيبةً لما بدا محراب حاجبه بغير حجاب
الله اكبر وهو يغزو مهجتي حربًا ولم أخرج عن المحراب

وقلت ايضًا

طلبت منهُ قبلة فقال لي وقد بدا يشرع في الاعراض
نسيت فعل سيف لحظي قلت لا يا قاتلي وكيف أنسى الماضى

وقلت ايضاً

طلبت تقبيل من احبّ وقد   أنكرت في الخدّ نقطة حسنه
فرق لي قلبه وقال اذا   قبلت خدّي لا تنكر الحسنه

وقلت ايضاً

مذ جفاني ممرض القلب ولم   الق في الضعف وفي الكسر انجبارا
قلت للعارض يا آسى اذا   درت داري ممرض القلب فداري

وقلت ايضاً

قلت لي لما علاني شدة   وتناءى فرج عني مده
يا اخا الا واق ماذا تبتغي   قلت أبغي فرجاً من بعد شده

وقلت مورياً ومضمناً

حنثت عزمي شوقاً اليكم   فلم أطق مكثه بارض
وحيث لم احظ بالتلاقي   فغايتي ان الوم حظي

وقلت ايضاً

جاء بصبح الثغر مبتسما   يمشي بليل الشعر في دلال
قلت له دمت لقلبي هكذا   ما دامت الايام والليالى

وقلت مرتجلاً في جبهة دمشق دو بيت

لما ملأ الجبهة بالانوار   لمناه على ذلك خوف العار
قال اصرفوا سئمت من بلدتكم   والجبهة من منازل الاقمار

ومثله قولي

مذ أظهر ورده لنا ريحانه   ناديت لتلك المقلة الكسلانه
قد دبّ عذاره على وجنته   قومي انتبهي قالت انا نعسانه

وقلت ايضاً

أحببته متأدباً ونظمت في   حسن ابتدائي فيه نظم المرقص

فاشار في حسن الختام اجبنه   حسن الختام يكون بعد تخلصي

وقلت ايضاً

يحاضرني بابيات ولكن   يعيرني اذا طال اجتماعي

فان انشدت اشعار السلام   يطارحني بابيات الوداع (عي)

وقلت ايضاً قلت للخال اذ بدا   في نقا جيده السعيد

فزت ياعبد قال لي   انا عبد لكل جيد

وقلت ايضاً

قال اراك الحمى تعوض   بغصن قدي اذا جفاكا

فقلت من بعد قد حبي   والله مــا أشتهي اراكا

وقلت ايضاً

رمت يوم العيد منهُ وقفة   ليرى من بعده حالي وضعفه

فطر القلب وولى قائلاً   يا معنى مــا لعيد الفطر وقفه

وقلت ايضاً

قال نهد الحب صفني مذ غدا   قاعداً في الصدر بالتصدير يجهر

قلت اذ برّز في تحقيقه   انت بالتحقيق والله مصدّر

وقلت ايضاً أسياف لحظك قاتلي   لمــا تعدت حدها

وعربدت في سكرها   قلت استحي فردّها

فقال لي مورّيا   لا بد أن احدها

وقلت ايضاً

عاتبته ودموعي غير جارية   لان دمعي من طول البكا نشفا

فقال لم اروكف الدمع قلت له   حسبك الله يا بدر الدجا وكفا

وقلت ايضاً

قالت وقد قبلتها في جيدها   تصبو الى غير وتخلص من يدي

فأجبت حين تقلدت بمدامعي　　يا هند خوضي في دمي وتقلدي

وقلت ايضًا

بنقطة الخال وطعم اللمى　　وخضرة الشارب يا عاتبي
قدملت للنقطة بعد التقى　　وقلت بالمشروب والشارب

وقلت ايضًا

أرداف من أهواه قد تثاقلت　　لما تجافى الشعر يوم البين
وبعد ذا وجنته تلوّنت　　وساقه والله ذو وجهين

وقلت ايضًا

قامت قيامة مهجتي في عشقها　　ونهودها لصبابتي تتقاعد
هذا ونار الوجد تضرم في الحشا　　عند العتاب وريقها يتبارد

وقلت ايضًا برامة لي ظبي　　تخشى الاسود مرامه
كم هام قلبي فيه　　بين العذيب ورامه

وقلت ايضًا

هويت غصنا لاطيار القلوب على　　قوامه في رياض الوجه تغريد
قالت لواحظه انا نسود على　　بيض الظبا قلت انتم أعين سودوا (د)

وقلت ايضًا

قلت له ان جفن مقلته　　يشبه سهمًا بجعبة رشقه
خنت من الفتك رحت أملقه　　سابقني مدمعي جرى ملقه

وقلت ايضًا

في سويداء مقلة الحب نادى　　جفنه حين صاد للاسد صيدا
لا تقولوا ما في السويدا رجال　　فانا اليوم من رجال السويدا

وقلت ايضًا صدعت قلبي ساعة يدعو　　وقلت صبرًا قال صدعتني
فقلت يادمعي بلّ الجوى　　فقال لي والله نشفتني

وقلت ايضًا

بروحي أفتدى ظبيًا نفورا ، يحق لهُ بروحي أن يفدى
جلى لصدى قلبي فرد يوم بوصلٍ منهُ ثم جفا وصدا

وقلت ايضًا

تنفس الصبح لنا من ثغرها وليل شعرها الطويل عسعسا
فكيف نسلو ولنا في عشقها قد أنعم الله الصباح والمسا

وقلت ايضًا

ومذ كلمت جسمي سيوف لحاظها شكوت اليهـا قصتي وهي تبسم
فلم أر بدرًا ضاحكًا قبل وجهها ولم تر قبلي ميتًا يتكلم

وقلت وهو من الاغراض البديعة

جاد النسيم على الربا بندا يديه وقال لي
انا ما اقصر عن ندى وكما علمت شمائلي

وقلت موريًا ومقتبسًا

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت تلوين دمعي بعد فرقة حبه
لكن بهِ لمـا سمحت تباخلت فغدت مطوقة لما بخلت به

وقلت ايضًا

صافح منثور الربا ورده غلامه القمري في الايكه
فقال ورد الروض في غيظه هل جاز في اصبعه شوكه

وقلت ايضًا

اصابع المنثور لمـا مدّها لقرص خدّ الورد من بعد القبل
هزّ لهُ زنبقنا عواليا فالراية البيضا عليهِ لم تزل

وقلت ايضًا

رأيت مع المنثور بعض وقاحة ولم ادر ما بين الغدير وبينه

تلون منهُ ثم مدّ اصابعًا   الى وجهه قصدًا وخضر عينه

وقلت ايضًا

مرج حماة بنواعيره   فاق على المقياس في روضته
فاغتاظ نمور دمشق لذا   فقلت لا أفكر في غيظته

وحضرت يومًا في قطاف السفرجل وجلست مع جماعة من اهل الادب على عين الغيظة الموسومة بست الشام وهي ظاهر دمشق المحروسة فنظم كل منهم ما يليق بذلك المقام على قدر مقامه فنظمت انا في ذلك قولي

تقول ست الشام لما غازلت   بعينها فأنعشت حياتي
وانتقشت بمرجها وأبرزت   نهدًا حلا لانهُ نباتي
خذني بغير ضرة فانني   بديعة في الحسن والصفات
واستجلني عروسة يتيمة   شامية وعش بلا حماة

وقلت في عين وادى رشعين ظاهر طرابلس المحروسة ارتجالاً

ارض وادي رشعين مفتوحة العين لها يقظة على النيرين
ما حللنا هناك الا وقالت   اجلسوهم على محاجر عيني

وقلت في وادي منافسها

وادي المنافس من مغنى طرابلس   بطيب أنفاسه ابدى نفائسه
وكاد يلحق بالشقرا وأبلقها   فلا تلوموه ان قوى منافسه

وقلت برأس العين المشهورة بظاهر بعلبك

ولما نزلنا بعلبك تفكهت   عيوني واذواقي وصلت على البين
وطالبتها يومًا برؤية مرجها   وخضرته قالت على الرأس والعين

وقلت ايضًا

حيّا بها عاصرها في كأسها   مشرقة باسمة كالثغر

وقال هذي تحفة في عصرنا قلت اسقنيها يا امام العصر

وقلت ايضاً صونوا الكأس عن مزج ففي ثغرها الألما

ان جئتم به صرفا لم أشرب عليه الما

وقلت ايضاً

لما غدا حباب كأسي شاعرا لنظم خمرياته بحرر

أوقفت ساقينا على نظامه فقال لي والله هذا جوهر

وقلت ايضاً في حب كأسي لامني من ليس يدري حالتي

فقلت دعني انني وجدت فيها راحتي

وقلت ايضاً لما غدا راحي نحيلاً باليا وكاد ان لم يك في الزجاج

وجاز بالماء الى بحرانه ورق قالوا صنه بالعلاج

فجئته مستقصياً اعراضه وجدته معتدل المزاج

وقلت مماجناً

اعنابكم ان حرموا ماءها وحرفوا فيها على الشارب

لا تحرموني التين اني امرؤ أعشقهُ بالقلب والقالب

ومثلهُ قولي مورياً

نصبت ايري مذ نحوت تيله وهو يريد رفعها على ابتدا

وبعد ذا للجر قد اضفته وفي المضاف ما يجر ابدا

ومثلهُ قولي أدخلت ايري فيه اصبت منهُ المقاتل

فقلت كيف تراه فقال والله داخل

ومثلهُ قولي وصاحب تسمح لي نفسه بغدوة لكن اذا ما انتشا

يضحك سني للغداة عنده لكنني اقلع سن العشا

ومثلهُ قولي

العلم ابن الكويز قال معي لطف وظرف حواهما الكرم

وقامتي بانة مهفهفة فقلت لا بانة ولا علم

ومثلهُ قولي في حماة تكدرت مذ تزوجت عيشتي
فانا اليوم هارب من حماتي وزوجتي

ومن الاغراض البديعة ما كتبت بهِ الى الخوجا شهاب الدين الذهبي وقد ماطلني بحوالة ذهب قولي

قد منعتم صرف الدنانير عني ولكم في الورى هبات كثيره
وانا شاعر وفي شرع نظمي صرفها واجب لاجل الضروره

ومن الاغراض البديعة قولي

ديوان نظمي جاء وهو محرر برقيق نظم لفظه يستعذب
فاذا بدا لا تستقلوا حجمه وحياتكم فيهِ الكثير الطيب

ومثله قولي قالوا صفي الدين اشعاره ما للورى في طرقها ممشا
وهكذا انشاؤه مسكر قلت لهم والله ما أنشا

ومن المدائح ما كتبت بهِ الى قاضي القضاة شمس الدين الاخيائي قولي في رسالة

ايا سيدي قاضي القضاة بمدحكم ليالي سطوري أقمرت في سما طرس
وصيرت قلبي بالمعالي لانني وصلت باقوالي الى مطلع الشمس

وكتب الى القاضي شهاب الدين الصفدي وقد ولي كتابة السرّ الشريف بدمشق المحروسة

كتابة سرّ الشام جاءت مطيعة اليك على رغم الذي لك يحسد
ونجل ابن فضل الله احمد ان يكن تولى بجهد انت والله احمد

وكتبت الى الشيخ شرف الدين الانطاكي شيخ الشام المحروسة

يا شرف الدين الذي بذكره تشرفت بين الورى اشعارى
لكم تفاصيل علوم نسجها محبر وهو طراز الدارى
قل للذي رام يحوك مثلها ما انت هذا الطرح يا انبارى

وكتبت من حلب المحروسة الى المقر الصلاحي ابن السابق صاحب ديوان الانشاء بحماة المحروسة

فوالله ما فارقتكم عن ارادة ... ولكن علمتم كيف كان رحيلى
وفي حلب قد بالغوا في كرامتي ... وجبري ولكني بغير خليل

وكتبت الى اولاد الشيخ عبد القادر الكيلاني اعاد الله علينا من بركاتهم من دمشق المحروسة

يا أهل بيت النبي بعدكم ... والله ما ذقت لذة الوسن
وكيف يلتذ بالمنام فتى ... فارق وجه الحسين والحسن

وكتبت الى نظام الدين مرجان الخزندار وقد رسم لي بانعام من عنده اتقاضاه ذلك

خازن دار الشام طلعته ... قد كملت حسنها باحسان
تلقاه عند العطا مبتسما ... فانظر الى اللؤلؤ والمرجان

وكتب الى القاضي ناصر الدين ابن الكاتب بحماة المحروسة منه شتل منثور

زهر الوعود ذوى من طول مطلكم ... لانه من نداكم غير ممطور
والعبد قد جهر المنظوم ممتدحاً ... فطابقوه اذا وافى بمنثور

وقلت مما ينقش على طاسة

انا طاسة قدري سما وبروضتي ... نهر المجرة للنجوم موارد
وتساذج القمر المنير بحسنه ... فقمرته وعليه نقشي قاعد

ومثله قولي

انا طاسة بيضت وجهي عندكم ... وصفا لكم قلبي بماء رائق
عذبت مشاربه ببارق مهجتي ... فتنزهوا بين العذيب وبارق

وقلت مرتجلاً بقناطر الجيزة عند زيادة النيل المبارك من تخيلاتي البديعة

وقالوا كميت النيل يجري وقد بدا ... عليه خلوق السبق قلت كذا جرى
ولكنه نحو القناطر مذ بدا ... يجري عليها معجباً فتقنطرا

(قلت) واغرب من هذا وهو بديع الاتفاق ان كسر النيل يكون في شهر مسري وبعد مسري بايام يختم الكسر النوروزي فاتفق اني تمثلت لذي المواقف الشريفة المؤيدية يوم كسر النيل المبارك وقد بلغ المسامع الشريفة في ذلك اليوم ان نوروز وصل الى غزة محاربًا فقلت

ايا مالكًا بالله صار مؤيدًا ومنتصبًا في ملكه نصب تمييز
كسرت بمسري نيل مصر وتنقضي وحقك بعد الكسر ايام نوروز

فرسم لي بتشريف فانشدت عند لبسه ارتجالاً اقول

اهلتني في غربتي وكسوتني حللاً بها فقت الرضا والمرتضى
ورضيت مثلي في زمانك منشئًا فعلمت حقًا انها خلع الرضى

انتهى ما اوردته في باب التورية من كتاب الله وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام اصحابه رضى الله عنهم اجمعين ومن نظم فحول العرب والمولدين الى ان ارتفع العلم الفاضلي واوردت محاسنه ومحاسن من مشى تحت علمه المحمدي الى ان اتصل هذا السند باعيان اهل العصر فسح الله في آجالهم (قلت) ولولا الحياء من العصابة النباتية وانا منها لعززت العلمين من الوداعي بثالث فاوردت هنا من مطرب عطر مفرداته ما يغني عن الثاني والثالث فانه احد أئمة هذا المذهب واذا ذكرت التورية فهو عزيقها المرجب وعلى كل تقدير ففرسان العلمين المشهورين اعني الفاضلي والنباتي هم الذين ابرزوا عروس التورية من خدورها وحققوا للناس من تساذج عن نقوش القاعدة وسفل عن علو قدرها ولم اخل بذكر الشهاب محمود وكان محمود الحشمة في الفاظه وبلاغته عند كل ناظم وناثر الا ان التورية كانت غير مذهبه ووقوعها في نظمه ونثره من النوادر وتمذهب بها القاضي شهاب الدين بن فضل الله ولكن ما تفقه في المذهب ولا قرره ولا حرره ولا ابدر فيها بدر الدين بن حبيب وكانت ليالي سطورها بنظمه غير مقمره ولهذا خدمها حذاق الادب وحافظوا على الخدمة وثابروا وانشدوا من رضي بالشعر الموزون

اذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده   فقل انا وزان وما انا شاعر

(قلت) ومما تخيرت من نظم القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله من النكت التي وقعت له عفوًا من غير كدٍّ ولا تكليف بقوله

جاءوا بانواع من الطيب لنا   تحملها معشوقة ممشوقه
قلت خذوا الطيب لكم جميعه   بشرط ان لا تأخذوا المعشوقه

ومما اخترته من نظم بدر الدين بن حبيب رحمهُ الله تعالى

وجنته الحمراء لما اكتست   خضرة اذناب الطواويس
عابوا افرط الحسن دينارهـا   فقلت خلوه على كيسى

(قلت) وقد عنّ لي ان اورد هنا نبذة من نظم من كانت التورية غير مذهبه لا جعلها في مهالك الاشكال وموانع العقادة جل مطالبه وماعلىَّ ممن تأخر عصرًا او تقدم فان الغرض ان يصير عقد التورية وهو بنظم من شعر بها منظم وما خفي ان من حذاق الادب من وقعت لهُ التورية عفوًا وصار العفو محلاً عند القدرة ومنهم من نقب عنها وعسعس عليهِ ظلام التكليف فلم يبرزها نيره كالشيخ صفي الدين الحلي فانها كانت غير مذهبه وحاولها مرارًا فاتى بها مغصوبة ولم يبلغ من اقتناص شواردها بحبائل فكره مطلوبه قوله

وساق من بني الاتراك طفل   اتيه بهِ على جمع الرفاق
املكه قيادي وهو رقي   وافديه بعيني وهو ساقى

(قلت) لاشك ان مراده بالمعنى الواحد من التورية ساقي الراح وهو ظاهر صحيح وبالمعنى الآخر ان يكون هذا الساقي ساقا للشيخ صفي الدين غفر الله له وهو غير ممكن ولعمري ان هذا مسلك من ليس لهُ في باب التورية مدخل وهذه النكتة ابرزتها معلمة الطرفين وانا اذ ذاك مبتدئ لم ابلغ من البلاغة اشدى ولا ثبت عند قضاة الادب رشدي بقولي موريًا ومضمنًا

ياحسن ساق يقول ان ذهبت   مدامكم تكيفوا باحداقى

شمر عن ساقه لنا وسقى   قامت حروب الهوى على ساق

(قلت) ومما عقده الشيخ صفي الدين في هذا الباب بيت بديعيته الذي نظمهُ شاهدًا على هذا النوع وهو قوله في مدح النبي صلى الله عليهِ وسلم

خير النبيين والبرهان متضح   في الحجر عقلاً ونقلاً واضح اللقم

(قلت) ومن تواريه التي يستشهد بها على رفضه ولا بد ان الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته وقلة ادبه وهي قوله

اذا شاهدت عيناك وجه معذبي   وقد زارني بعد القطيعة والهجر
رأيت بقلبي من تلفيه مرحبا   وسيف علي في لحاظ ابي بكر

(قلت) وكذلك الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي ناظم البديعية التي شرحها صاحبه الشيخ شهاب الدين الغرناطي كان عن نظم التورية بمعزل ولم يرض ان ينزل بالقريب من ابياته بمنزل وبيته الذي نظمه شاهدًا في بديعيته على هذا النوع في غاية العقادة والسفالة وهو قوله

لا يرفع العين للراجين يخجلهم   بل يخفض الرأس قولاً هاك فاحتكم

وهذه البديعية غالبها سافل على هذا النمط والتورية تجل عن ان تكون من مخدرات هذا البيت الذي تلت قواعده في الزلزلة والواقعة . واسمى رتبة ان تكون شموسها في غيوم هذه العقادة طالعة . ولكن اورد له الشيخ ابو جعفر في شرحه الذي كتبه على بديعيته قال سحرها الحلال ان النظر في ابيات الحلى حرام لاسيما البيت الذي صلى بهِ الى غير القبلة ونعرض بجهله الى الامام والبيتان

وقفت للوداع زينب لما   رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعي وحلو   سكب دمعي على اصابع زينب

(قلت) ورتبة الشيخ صفي الدين بالنسبة الى ابن جابر معلوم انها عالية ولكن التورية مادخلت الى بيت من بيوته الاَّ خرجت غير راضية قلت ومن التواري التي وقعت لناظمها عنوًا بل سحرًا من غير كد ولا استكراه قول القائل

قاسوك بالغصن في التثني　　قياس جهل بلا انتصاف
فذاك غصن الخلاف يدعى　　وانت غصن بلا خلاف

ومن ذلك قول جلال الدين يوسف شاعر ماردين قديمًا وهو

ويوم برد يد انفاسه　　تعبس الاوجه من قرصها
يوم تود الشمس من برده　　لو جرت النار الى قرحها

ومثله قول شرف الدين بن منقذ

واربّ ليل تاه فيه نجمه　　وقطعته سهرًا فطال وعسعسا
وسألتهُ عن صبحه فاجابني　　لو كان في قيد الحياة تنفسا

ومثلهُ قول ابن النبيه وكانت التورية غير مذهبه

تعلمت علم الكيمياء بحبه　　غزال بجسمي ما بعينيه من سقم
فصعدت انفاسي وقطرت ادمعي　　فصح بذا التدبير تصفية الجسم

ومثلهُ قول ظهير الدين بن البارزي

يا الحبة الحب التي　　طال لها تلفتى
هل انت مسك الترك او　　هل انت مسك تبت

ومثلهُ قول امين الدين السليماني

اضيف الدجا معنا الى ليل شعره　　فطال ولولا ذاك ما خص بالجرّ
وحاجبه نون الوقاية ما وقت　　على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومثلهُ قول محاسن الشوّا

ولما اتاني العاذلون عدمتهم　　وما منهم الاَّ للحشى قارض
وقد بهتوا لما رأوني ساهيا　　وقالوا بهِ عين فقلت وعارض

ومثلهُ قول سعد الدين الفارقي

قف بي على نجد فان قبض الهوى　　روحي فطالب خد ليلى بالدم
واذا دجا ليل الفراق فناده　　يا كافرًا احللت قتل المسلم

ويعجبني هنا قول شهاب الدين ابن ابي الخوف

افول لعقد اذهل الطرف حسنه على جيد خود وصلها كل مقصودى
اجدت نظامًا رق معنى فقال لي وما زلت في عمري ادور على الجيد

ومثلهُ قول ابراهيم بن عبد الله الغرناطي

يارب كأس لم تشج شمولها فاعجب لها جسمًا بغير مزاج
لما رأينا السحر من اشكالها جملاً نسبناه الى الزجاج

ومثلهُ قول مجير الدين بن حيان الشاطبي

تؤمون الحجاز وما علمتم بان القلب بينكم العتيق
والفاظي العذيب واضلعي المنحنى ودموع مقلتي العقيق

ومثلهُ قول الشريف شمس الدين محمد بن قاضي الجماعة بغرناطة وهو

حدائق انبتت فيها الغوادي ضروب النور رائقة البهاء
فما يبدو بها النعمان الاّ نسبناه الى ماء السماء

وقال القاضي علاء الدين بن غانم

حماة في بهجتها جنة وهي من الغم لنا جنة
لاتيأسوا من رحمة الله قد ابصرتم العاصي في الجنة

(قلت) تورية العاصي تلاعب الناس بها كثيرًا وقالوا في نواعيرها وحسبك ان الخشب تبكي على العاصي وقال جلال الدين ابن خطيب داريا رحمة الله وعفى عنهُ

جزيرة حمص كعبة الحسن اصبحت يطوف بها دان ويسعى لها قاصي
لها حلة من نقشها سندسية تعلق في اذيال استارها العاصي

(قلت) هنا نكتة لطيفة وهي ان هذين البيتين انشدهما شخص من اهل الادب بين يدي شيخي قاضي القضاة علاء الدين القضامي الحنفي نور الله ضريحه وانا بين يديه فقال التورية في العاصي ممكنة ولكن استعارة القصف للكعبة فيها اساءة ادب على بيت الله تعالى وتورية العاصي تأتي من غير هذا الباب وحكم عليّ

بنظم بيتين فقالت

جزيرة حمص لم تكن قط كعبة ... يطوف بها دان ويسعى لها قاصي

ولكنها للهو والقصف حانة ... الم تنظروها كيف جاورها العاصي

وممن وقعت له التورية عفوًا من غير كد ولا تكليف ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب بقوله عفى عنه

جلس المولى لتسليم الورى ... ولفصل البرد في الجو احتكام

فاذا ما سألوا عن يومنا ... قلت هذا اليوم برد وسلام

وممن وقعت له التورية عفوًا وباهى النسيم بلطف تركيبها الشيخ شمس الدين الادفوي بقوله

كم للنسيم على الربا من نعمة ... وفضيلة بين الورى لن تجحدا

ما زارها وشكت اليه فاقة ... الا وهز لها الشمائل بالندا

وممن جاراه في الحسن ولطف التركيب موفق الدين الحكيم بقوله

لله ايامنا والشمل مجتمع ... نفلًا به خاطر التفريق ما شعرا

ولهف قلبي على عيش ظفرت به ... قطعت مجموعه المختار مختصرا

ومنه قول عبد العزيز الآمدي

ان الذي في وجهه جنة ... حفت بمكروه من العذل

مقلته في وسط قلبي غدت ... ارملة تأكل بالغزل

ومنه قول القائل واجاد

ويد الشمال عشية مذ ارعشت ... دلت على ضعف النسيم بخطها

كتبت سقيًا في صحيفة جدول ... فيد الغمامة صححته بنقطها

ويعجبني في هذا البيت قول القائل في حمام

ان حمامك التي نحن فيها ... اي ماء لها واية نار

قد نزلنا فيها على ابن معين ... ورويناه عنه صحيح البخار (ى)

ومثله في الحسن قول علاء الدين بن البطريق ناظر الجيش ببغداد

دار السراج بديعة　　فيها تصاوير بمكنه
تحكي كتاب كليلة　　فمتى اراها وهي دمنه

ومن المخترعات في هذا الباب قول الشيخ شمس الدين الواسطي يهجو عوادًا وزمارًا قوله

شبهت ذا العواد والزامر اذ　　ضاقت علينا بهما المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت　　وارقم ينفخ وهو خارج

ويعجبني قوله من الدوبيت

ان اضرمني بجذوة التذكار　　حبي وبرى عظمي شكرت الباري
فالعاذل في هواه لا عقل له　　ما ابلد عاذلي واذكى ناري

ومثله قول القاضي علاء الدين بن الجويني صاحب الديوان ببغداد

يا طيب مبيتنا بوادي السمر　　في بهجة ليلة بضوء القمر
وافى بفراقنا نسيم سحرًا　　ما أبرد ما جاء نسيم السحر

ومن الغايات في هذا الباب قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل قوله

كم قال معاطفي حكتها الأسل　　والبيض سرقن ما حوته المقل
والآن اوامري عليهم حكمت　　البيض تحدّ والقنا تعتقل

ومنه قوله

يا غاية منيتي ويامعشوقي　　من بعدك لم امل الى مخلوق
يا خير نديم كان لي يؤنسني　　من بعدك صليت على الراووق

ومن نظم المواليا في هذا الباب قول القائل

حبي ومحبوبتي مذ بان يوم البين　　زاروا عشا ليلة الاثنين قبل الحين
فصرت انظر الى زينه والح زين　　واقول يا قلب ما احلى ليلة الاثنين

ومثلهُ في اللطف قول الآخر

سمعتها وهي داخل دارها في الصحن   تنشد رمل صحنت قلبي المعنى صحن
يا ليتها مع تغنيها وطيب اللحن   ترفع اجر ودع يدخل على اللحن

ومثله ايضاً

قالت لها اختها قصدي يسمعنا   ما النحو قالت لها نحن باجمعنا
للرفع والنصب اناواتي ومن معنا   للجر والزوج حرف جاء للمعنى

ومثله ايضاً

ستي الكبيرة لها الخدام والحرمه   تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشي افشخت لوناك من كلمه   راحت بين القواقيه على قرمه

ومثله ايضاً

يا منيتي زدت لهواتي تنشفها   واحرمتني الشفة الحمراء ارشفها
تحب بيضا واجفانك تحشفها   بالله انظر ظلاماتي وكشفها

ويعجبني هنا قول الشيخ حامد الحكاك

قال الحبيب يقينك بطلو بالشك   وشش ذن لي ذهب ان رمت منك يلك
فقلت عبدك ذهب مالو وشغل الحك   مش اسعه حالو وخدلك سك

وايضاً قول الحامد

ثار الغرام الذي في مهجتي خامد   وسال دمعي الذي كنت اعهد جامد
وانا ببغداد والمحبوب في آمد   مصيبتي عظمت وانا لها حامد

(قلت) قد طال الشرح واوردت في باب التورية من المحاسن ما يكفي قديمًا وحديثًا واوضحت بعد ذلك ما وقع فيها من النظم عفوًا وتكليفًا وقد تعين عليَّ ايراد ما وعدت بهِ في ديباجة هذا الكتاب من فقه التورية والكلام على انواعها واقسامها فان القول على اختلاف عبارات الحدود وقد تقدم وعلى كل فالكل راجع الى مقصود واحد اذ القصد من لفظ التورية ان يكون مشتركًا بين معنيين

احدهما قريب ودلالة اللفظ عليهِ ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليهِ خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنهُ بالقريب فيتوهم السامع اول وهلة انهُ يريد القريب وليس كذلك ولهذا سمي هذا النوع ايهامًا والتورية اربعة انواع مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة (النوع الاول) التورية المجردة وهي التي لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى بهِ وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنهُ وهو المعنى البعيد واعظم امثلة هذا النوع قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) لان الاستواء على معنيين احدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب والثاني الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المورى عنهُ والمراد لان الحق سبحانه وتعالى منزه عن المعنى الاول ولم يذكر من لوازم هذا شيئًا ولا من لوازم ذاك فالتورية مجردة بهذا الاعتبار (ومنهُ) قول النبي صلى الله عليهِ وسلم في خروجه الى بدر وقد قيل لهُ ممن انتم فلم يرد ان يعلم السائل فقال من ماء واراد انا مخلوقون من ماء فورى عنهُ بقبيلة من العرب يقال لها ماء ومن ذلك قول ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في الهجرة وقد سئل عن النبي صلى الله عليهِ وسلم فقيل من هذا فقال هادٍ يهديني اراد ابو بكر هاديًا يهديني الى الاسلام فورى عنهُ بهادي الطريق الذي هو الدليل في السفر ومنهُ قول القاضي عياض في سنة كان فيها شهر كانون معتدلاً فازهرت فيهِ الارض فقال

كأن نيسان اهدى من ملابسه   لشهر كانون انواعًا من الحلل
او الغزالة من طول المدى خرفت   فما تفرق بين الجدي والحمل

فالتورية هنا مجردة والشاهد في الغزالة والجدي والحمل فان الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيئًا من لوازم المورى بهِ كالاوصاف المختصة بالغزالة الوحشية من طول العنق وحسن الالتفات وسرعة النفرة وسواد العين ولا من اوصاف المورى عنه كالاوصاف المختصة بالغزالة الشمسية من الاشراق والسمو والطلوع والغروب فان قيل ان الغزالة قد رشحت بذكر الجدي والحمل وهما مرشحان بالغزالة

فالجواب ان لازم التورية من شرطه ان يكون لفظه غير مشترك والغزالة هنا مشتركة وكذلك الجدي والحمل ومنهُ قول القاضي محيي الدين بن زيلاق وقد اهدى لبدر الدين صاحب الموصل حملاً قولهُ

يا ايها المولى الذي ببابهِ كل الامل
لو لم يكن بدرًا لما اهدى الك الثور حمل

فالتورية وقعت بين البدر والثور والحمل ولم يذكر لواحدٍ منها لازماً فالبدر مشترك بين اسم الممدوح و بدر السماء والثور مشترك بين الحيوان والبرج في السماء وكذلك الحمل ومنهُ قول بعضهم من كان وكان واجاد في هذا الباب للغاية

لو سنبله ليلها طال ناظر اليها المشترى
ولو دنب ما يقارن حتى يرى الميزان

فالتورية هنا بالسنبلة والليل والمشترى والذنب والميزان والناظر محتمل واما لفظة يقارن بها من القرانات السعيده ومنهُ قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى يصف واديًا وبطحاء وهو قوله

وبطحاء من وادٍ يروقك حسنه ولا سيما ان جاد غيث مبكر
بهِ الفضل يبدو والربيع وكم غدا بهِ العيش يحيى وهو لاشك جعفر

فالتورية وقعت هنا في الفضل والربيع ويحيى وجعفر والاشتراك في كل من الاربعة ظاهر وجعفر مشترك بين اسم الوزير والنهر الصغير ولم يذكر الناظم الاشتراك من هذه الاشتراكات لازماً فالتورية ايضًا مجردة بهذا الاعتبار (النوع الثاني) التورية المرشحة وهي التي يذكر فيها لازم المورى بهِ قبل لفظ التورية او بعده فهي بهذا الاعتبار قسمان وسميت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المورى بهِ فاذا صرح بذكره ترشحت فالقسم الاول منها هو ما ذكر لازمه من قبل ومن اعظم امثلته قوله تعالى (والسماء بنيناها بايد) فان قوله تعالى بايد تحتمل الجارحة وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح

البنيان ويحتمل القوة وعظمة الخالق وهذا المعنى البعيد المورى عنهُ وهو المراد فان الله تعالى منزه عن المعنى الاول ومنهُ قول يحيى بن منصور من الشعراء شعراء الحماسة

فلما نأت عنا العشيرة كلها   انخنا فحالفنا السيوف على الدهر

فما اسلمتنا عند يوم كريهة   ولا نحن اغضبنا الجفون على وقر

الشاهد في الجفون فانها تحتمل جفون العين وتحتمل ان تكون جفون السيوف اي اغمادها وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ومراد الناظم لان الاغضا لا يليق بجفون السيوف ومن الطف ما وقع في هذا القسم قول الحكيم شمس الدين بن دانيال وهو الكحال

يا سائلي عن حرفتي في الورى   وصنعتي فيهم وافلاسي

ما حال من درهم انفاقه   يأخذه من اعين الناس

الشاهد هنا في اعين الناس فانها تحتمل الحسد وضيق العين كما يقال وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ وقد تقدم لازمه على جهة الترشيح وهو درهم الانفاق لانهُ من لوازم الحسد وبحتمل العيون التي يلاطفها بالكحل وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم الكاحل انتهى القسم الاول من التورية المرشحة والقسم الثاني هو ما ذكر لازمه بعد لفظ التورية ومن امثلته اللطيفة قول الشاعر

مذ همت من وجدي في خالها   ولم اصل منهُ الى اللثم

قالت قفوا واستمعوا ما جرى   خالي قد هام بهِ عمي

الشاهد هنا في الخال فانهُ يحتمل ان يكون خال النسب وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم ويحتمل خال الخد وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم ومنهُ قوله

اقامت عن رشف الطلا   واللثم في ثغر الحبيب

وقالت هذي راحة   تسوق للقلب التعب

الشاهد هنا في الراحة فانها تحتمل الراحة التي هي ضد التعب وقد ذكر التعب بعدها على جهة الترشيح لها وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ ويحتمل الراحة التي هي من اسماء الخمر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهومراد الناظم (النوع الثالث) التورية المبينة وهي ما ذكر فيها لازم المورى عنه قبل لفظ التورية او بعده فهي بهذا الاعتبار ايضاً قسمان فالقسم الاول من المبينة هو ما ذكر لازمهِ من قبل واستشهدوا عليهِ بقول البحتري

ووراء تسدية الوشاح ملية   بالحسن تملح في القلوب وتعذب

الشاهد هنا في تملح فانه يحتمل ان يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ ويحتمل ان يكون من الملاحة التي هي عبارة عن الحسن وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين ملية بالحسن قلت هذا الشاهد الذي استشهدوا بهِ من نظم البحتري فيهِ نظر ولكن يأتي الكلام عليهِ في موضعه ومن احسن الشواهد على هذا القسم قول الشيخ شريف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة المحروسة

قالوا اما في جلق نزهة   تنسيك من انت بهِ مغرى

يا عاذلي دونك من لحظه   سهماً ومن عارضه سطرا (ى)

الشاهد هنا في موضعين وهما السهم وسطرا فان المعنى البعيد هو الموضعان المشهوران بمنتزهات دمشق المحروسة وذكر النزهة بجلق قبلهما هو المبين لها واما المعنى القريب فسهم اللحظ وسطر العذار القسم الثاني من التورية المبينة وهي التي يذكر فيها لازم المورى عنه بعد لفظ التورية ومن امثلة هذا القسم قول الشاعر

ارى ذنب السرحان في الافق ساطعاً   فهل ممكن ان الغزالة تطلع

الشاهد هنا في موضعين احدهما ذنب السرحان فانهُ يحتمل اول ضوء الفجر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنهُ وهو مراد الناظم وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله ساطعاً ويحتمل ذنب الحيوان المعروف وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ وفي

قوله الغزالة فانهُ يحتمل الشمس وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بذكر لازمه بعده وهو قوله تطلع ويحتمل الحيوان المعروف وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ واستشهدوا على هذا القسم ايضاً بقول ابن سناء الملك رحمه الله وهو

اما والله لولا خوف سخطك   لهان عليَّ ما القى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجباً   وليس هما سوى قلبي وقرطك

الشاهد هنا في الخافقين فانهُ يحتمل ان يريد قلبه وقرط محبوبه وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بالنص عليهِ فانهُ صرح بعد الخافقين بذكر القلب والقرط ويحتمل ان يريد هنا ملك المشرق والمغرب وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ (النوع الرابع) التورية المهيأة وهو التي لا تقع فيها التورية ولا تتهيأ الاَّ باللفظ الذي قبلها او باللفظ الذي هو بعدها او تكون التورية في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر فالمهيأة بهذا الاعتبار ثلاثة اقسام القسم الاول هو الذي تتهيأ فيهِ التورية بلفظه من قبل وقد استشهدوا على ذلك بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة بقوله

وسيرك فينا سيرة عمرية   فروحت عن قلب وفرجت عن كرب
واظهرت فينا من سميك سنة   فاظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

الشاهد هنا في الفرض والندب وهما يحتملان ان يكونا من الاحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ ويحتمل ان يكون الفرض بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع في قضاء الحوائج الماضي في الامور وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية القسم الثاني من التورية المهيأة هو الذي تتهيأ فيهِ التورية بلفظه من بعد ومن امثلته نثراً هذا قول الامام علي رضى الله عنه في الاشعث بن قيس انهُ كان يحول الشمال باليمين فالشمال يحتمل ان يكون جمع شمله وهو هذا المعنى البعيد المورى عنهُ وهو مراد الامام علي رضى الله يحتمل ان

يراد بها الشمال التي هي احدى اليدين وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد ومنهُ نظمًا قول الشاعر

لولا التطير بالخلاف وأنهم　　قالوا مريض لا يعود مريضا

لقضيت نحبًا منهُ في جنابك خدمة　　لاكون مندوبًا قضى مفروضا

فالمندوب هنا يحتمل ان يكون الميت الذي يبكى عليهِ وهو هذا المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ويحتمل ان يكون احد الاحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر المفروض بعده لم يتنبه السامع لمعنى المندوب ولكنه لما ذكر تهيأت التورية بذكره ومثله قول ابي الحسين الجزار حيث قال

ياعذولي دعني من العذل ان النصح في مذهب الهوى تعريض

مت لما نأى فها انا مندو　　ب فراق وحبه مفروض

الكلام على هذا الشاهد هنا كالكلام على الذي قبله (القسم الثالث) من التورية المهيأة وهو الذي تقع التورية فيهِ في لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية في الآخر واستشهدوا على ذلك بقول عمر بن ابي ربيعة المخزومي حيث قال

ايها المنكح الثريا سهيلا　　عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية اذا ما استقلت　　وسهيل اذا استقل يماني

الشاهد في البيت الاول في الثريا وسهيل فان الثريا يحتمل بنت علي بن عبد الله ابن الحرث بن امية الاصغر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنهُ وهو المراد ويحتمل ثريا السماء وهذا هو المعني القريب المورى بهِ وسهيل يحتمل ايضًا سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل سهيل بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم وقيل كان رجل من اليمن اسمه سهيل وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ويحتمل النجم المعروف بسهيل وهذا هو المعنى القريب المورى بهِ ولولا ذكر الثريا التي هي النجم لم يتنبه السامع لسهيل الذي هو النجم ولولا ذكر سهيل لما فهمت الثريا التي هي النجم وكل واحد منهما صالح للتورية والتورية هنا لا تصلح ان تكون مرشحة ولا

مبنية لان الترشيح والتبين لا يكون كل منهما الاّ بلازم خاص والفرق بين اللفظ الذي تتهيأ بهِ التورية واللفظ الذي تترشح بهِ واللفظ الذي تتبين بهِ ان اللفظ الذي تقع بهِ التورية مهيأة لولم يذكر لما تتهيأ التورية اصلاً واللفظ المرشح والمبين انما هما مقويان للتورية فلو لم يذكرا لكانت التورية موجودة وسبب نظم هذين البيتين ان سُهيلاً المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد في الخلق فان الثريا كانت مشهورة في زمانها بالجمال وكان سهيل بالعكس وهذا مراد الناظم بقوله عمرك الله كيف يلتقيان وايضاً هي شامية الدار وسهيل يماني انتهى الكلام على التورية المهيأة وهي آخر انواع التورية (وهنا تنبيه فيهِ فائدة) يتعين ايراده وهو ان مشائخ هذا العلم قالوا ليس كل لفظ مشترك بين معنيين تتصور فيهِ التورية لاحتمال ان احد المعنيين غير معروف كاللغات التي لا تدور على السنة الناس فمثل هذا لا تتصور فيهِ التورية وانما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين الاّ ان يكون احدهما اسبق الى الفهم من الآخر (قلت) وقد عنّ لي ان اختم باب التورية بفائدة تكون مسكًا لختامها وبدرًا لتمامها وهي ان علماء هذا الفن قالوا ان التورية اذا جاءت بلازمين فتكافآ ولم يترجح احدهما على الآخر فكأنهما لم يذكرا وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك في درجة واحدة وتلحق هذه التورية بالمجردة وتعد فيها قسمًا ثانيًا وتصير مجردة بهذا الاعتبار واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر

غدوت مفكرًا في سرّ افق ... ارانا العلم من بعد الجهاله
فما طويت لهُ شبك الدراري ... الى ان أظفرته بالغزاله

وقال ان الشبك من لوازم الغزالة الوحشية والدراري من لوازم الغزالة الشمسية قلت اما قوله في تقريره ان اللازمين اذا تكافآ ولم يترجح احدهما على الآخر تصير التورية كالمجردة فقريب واما الشاهد ففيه نظر فانهُ صدر بقوله غدوت مفكرًا في سرّ افق فالتفكر في سرّ هذا الافق الذي اراه العلم من بعد الجهالة من اوضح اللوازم التي ترشح جانب الغزالة الشمسية واما الشبك فاستعارة مرشحة بالحسن

لنجوم الدراري وهي ايضاً مما يرجح جانب الشمس عند طيها الذي اراد بهِ الناظم غيابها ولو كانت الشمس مجردة من الدراري ربما كان للغزالة الوحشية بعض مقاربة وعين الشمس هنا ما تغطى على الترجيح والله اعلم واستشهدوا ايضاً على هذا القسم بقول مجير الدين بن تميم

وليلة بت اسقي في غياهبها راحاً تسل شبابي من يد الهرم
ما زلت اشربها حتى نظرت الى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقالوا ايضاً ان الصبح من لوازم الغزالة الشمسية والرعي من لوازم الغزالة الوحشية قلت اما الصبح فمن لوازم الغزالة الشمسية كما قالوا واما رعى نرجس الظلم فليس من لوازم الغزالة الوحشية وانما هو استعارة مرشحة بالحسن للنجوم وهي مثل استعارة الشباك للدراري في الشاهد الاول والغزالة الوحشية ليس لها هنا مرعى فانها اجنبية من رعى نرجس الظلم الذي هو عبارة عن النجوم والله اعلم (قلت) وقد تقدم قولي على الشاهد الذي اورده البحتري على التورية المبنية بذكر لازم المورى عنه من قبل وقلت فيهِ نظر وهو قوله

ووراء تسدية الوشاح ملية بالحسن تملح في القلوب وتعذب

هذا الشاهد تعارض فيهِ اللازمان وتكافيا وهو اقرب الى المجردة وما ذاك الا ان الشاهد في قوله تملح يحتمل ان يكون من الملوحة ولازمه تعذب وهذا هو المعنى القريب المورى به و يحتمل ان يكون من الملاحة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولازمه ملية بالحسن وقد تعارض اللازمان وهذا هو الشاهد على هذا القسم الذي اختاره ان يكون قسماً ثانياً للتورية المجردة وهو اقرب من الشاهدين المتقدمين واقرب منهُ قول الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله وهو

قالت اذا كنت تهوى انسي وتخشى نفوري
صف ورد خدي والاّ اجور ناديت جوري

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله

حملت خاتم فيه فصًّا ازرقا … من كثرة اللثم الذي لم احصه

لولاه مـا علم الرقيب فيالهُ … من خاتم نقل الحديث بنصه

والاشباه والنظائر من هذا القسم كثير والغرض ان اللازمين اذا تعارضا تكافيا في التورية يلحق هذا القسم بالتورية المجردة والله اعلم * انتهى الكلام على التورية وقد قدمت من نظم الجماعة الذين مشوا تحت العلمين المشهورين ما هو اشهر من الاعلام فالمتأمل اذا جمع ما بين طرفي هذا الكتاب وعرف الانواع والاقسام وضع من نظم المذكورين كل شيء في محله فاني كشفت لهُ اللثام عن وجه التورية الى ان استجلى محاسنها مسفرة وقد تعين كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام ليضوع مسك ختامه فان الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله لم يفض عنهما الختام فالاستخدام في اللغة هو استفعال من الخدمة واما في الاصطلاح فقد اختلفت العبارات في ذلك على طريقتين الاولى طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه وعليها مشى اكثر الناس وهي ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين فتريد بذلك اللفظ احد المعنيين ثم تعيد عليهِ ضميرًا تريد بهِ المعنى الآخر او تعيد عليهِ ضميرين تريد باحدهما احد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر وعلى هذه الطريقة مشى اصحاب البديعيات كالشيخ صفي الدين الحلي والعميان والشيخ عز الدين الموصلي وهلمّ جرًّا (الثانية) للشيخ بدر الدين بن مالك في المصباح ومن تبعه وهو ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم تأتي بلفظين يفهم من احدهما احد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر ثم ان اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون اللفظ المشترك متوسطًا بينهما والطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام فان المراد من التورية احد المعنيين وهو البعيد وفي الاستخدام كل من المعنيين مراد فان اللفظ المشترك اذا لزم استعماله من مفهوميه معًا فهو الاستخدام وان لزم

احد مفهوميه فهو التوريه وعلى كل حال فطريقة صاحب الايضاح وطريقة الشيخ بدر الدين بن مالك راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين بضمير و بغير ضمير واعظم الشواهد على طريقة ابن مالك ومن تبعه قوله تعالى لكل اجل كتاب يمحو الله ما يشاء و يثبت فان لفظة كتاب يراد الاجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظتي اجل و يمحو فاستخدمت احد مفهوميها وهو الامد بقرينة ذكره الاجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة يمحو ومنهُ قولي في القصيدة البرهانية

حويت ريقًا نباتيًا حلا فغدا ينظم الدّر عقدًا في ثناياك

فان لفظة نباتي تحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين الريق وحلاوته وبين النظم والدّر والعقود فاستخدمت احد مفهوميها وهو السكر النباتي بذكر الريق والحلاوة واستخدمت المفهوم الآخر وهو الشاعر النباتي بذكر النظم والدّر والعقود وليس في جانب من المفهومين اشكال واما شواهد الضمائر على طريقة صاحب الايضاح فجميع كتب المؤلفين لم يستشهدوا فيها على عود الضمير الواحد الاَّ بقول القائل

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

فلفظة السماء يراد بها المطر وهو احد المعنيين والضمير في رعيناه يراد بهِ المعنى الآخر وهو النبات واما شاهد الضميرين فانهم لم يخرجوا بهِ عن قول البحتري وهو

فسقى الغضا والساكنيه وان هم شبوه بين جوانح وقلوب

فلفظة غضا محتملة الموضع والشجر والسقيا صالحة لكل منهما فلما قال والساكنيه استعمال احد معنى اللفظة وهو دلالتها بالقرينة على الشجر قلت وقد اورد بعض علماء هذا الفن على هذا الشاهد نقدًا حسنًا وقال المراد من اشتراك لفظة الاستخدام ان يكون اصليًا والنظر هنا في اشتراك لفظة غضا فانهُ ليس باصلي الاَّ ان احد المعنيين منقول من الآخر والغضا في الحقيقة هو الشجر وسموه وادي الغضا لكثرة

نبته فيه وسمى جمر الغضا لقوة ناره فكل منقول من اصل واحد ولم يرد في كتب المؤلفين غير هذين البيتين قول ابي العلاء المعري

قصد الدهر من ابي حمزة الاداب مولى حجا وخدن اقتصاد

وفقيها افكاره شدن للنعمان ما لم يشده شعر زياد

فالنعمان هنا يحتمل ابا حنيفة رضي الله عنه ويحتمل النعمان ابن المنذر ملك الحيره وزياد هنا هو النابغة وكان معروفًا بمدح النعمان بن المنذر وهذا يصح على طريقة ابن مالك فان فقيها يخدم ابا حنيفة وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر ولا يصح على مذهب صاحب الايضاح فان ضمير يشده لم يعد على واحد منها لان شرط الضمير في الاستخدام ان يكون عائدًا على اللفظة المشتركة ليستخدم بها معناها الآخر كما قال البحتري في شبوه فهذا الضمير عائد على الغضا وابو العلا جعل الضمير في يشده غير عائد على اللفظة المشتركة التي هي النعمان فصار طيب الذكر الذي يشيده لا يعلم لمن هو لان الضمير لا يعود على النعمان اللهمّ الا ان يكون التقدير ما لم يشده له فيعود الضمير على النعمان بهذا التقدير قلت وما احلى قول بعض المتأخرين مع عدم التعسف وصحة السهولة والسلامة من النقد وتمكين الاشتراك الاصلي وهو

وللغزالة شيءٌ من تلفته ونورها من ضيا خديه مكتسب

وانا بالاشواق الى معرفة الناظم وهذا النوع اعني الاستخدام قلّ من البلغاء من تكلفه وصح معه بشروطه لصعوبة مسالكه وشدة التباسه بالتورية وقد علم ما وقع فيه من النقد على مثل البحتري وابي العلاء المعري وهو اعلى رتبة عند علماء البديع من التورية واحلى موقعًا في الاذواق السليمة ولكن قلّ من ظفر منه بسلامة التخلص من علق النقد وصعد من غور التعسف الى نجد السهولة وقد تقدم قول الشيخ صلاح الدين الصفدي انه نوع نادر الوقوع ملحق بالمستحيل الممنوع قلت الشيخ جمال الدين بن نباتة ممن استعبد الاستخدام في سوق رقيقه *

وابنع فرعه النباتي بزهره ووريقه * فمن استخداماته ما اراناه في استخدام البحتري غيث الوليد وقال عن استخدام ابي العلاء ليس على الاعمى حرج فانه مشى على الحبس في ظلمة التعقيد واستخدام الشيخ جمال الدين بن نباتة قوله من قصيدة امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم

اذا لم تفض عيني العقيق فلا رأت … منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل عادة السفح مقلتي … فلا عادها عيش بمغناه اخضر

انظر ايها المتأمل الى صحة الاشتراك من الاستخدامين وانسجام البيت الاول مع الثاني وسيلان الرقة من القطر النباتي والتشبيب المرقص بالمنازل الحجازية والغزل الذي يليق ان تصدر به المدائح النبوية ولعمري انه مشى على طريق صاحب الايضاح فزاده ايضاحًا * ولو دعي الى عرس عروس الافراح زادها افراحًا * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي الذي نظمه شاهدًا على هذا النوع في بديعيته قوله

من كل ابلج واري الزند يوم وغى … مشمر عند يوم الحرب مصطلم

استخدام هذا البيت سالم من النقد واشتراكه اصلي وضميره عائد الى محله ولكن لفظة مصطلم التي هي القافية يخاف على بيت الشيخ صفي الدين من ثقلها وبيت العميان في بديعيتهم

ان الغضا لست انسى اهله فهم … شبوه بين ضلوعي يوم بينهم

(قلت) لو عاش البحتري ما صبر للعميان على هذه السرقة الفاحشة فانهم اخذوا لفظه ومعناه وما اختشوا من الحرج ولا سلموا من النقد وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

والعين قرّت بهم لما بها سمحوا … واستخدموها من الاعدا فلم تنم

قول الشيخ عز الدين هنا (والعين قرّت بهم لما بها سمحوا) في غاية الحسن فانه اتى بالاستخدام وعود الضمير في شطر البيت مع الانسجام والسرقة واستخدم العين الباصرة وعين المال واما قوله في الشطر الثاني (واستخدموها من الاعداء فلم تنم)

ما اعلم ما المراد بهِ فان الاستخدام في العين التي هي الجارحة قد تقدم والذي يظهر لي ان اضطراره الى تسمية النوع الجأه الى ذلك و بيت بديعيتي

واستخدموا العين مني فهي جارية   وكم سمحت بها ايام عسرهم

فالتورية هنا في جارية بعد لفظة واستخدموا لم يوجد في سوق الرقيق نظيرها والعود بالضمير مع تمكين القافية وعدم التكلف والحشو لا يخفى على اهل الذوق السليم فان قافية مصطلم في بيت الشيخ صفي الدين الحلي تمجها الاذواق والله تعالى اعلم

انتهى الكلام على (كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام) واذا من الله بخاتمة خير وصل العبد الى حسن الختام ان شاء الله تعالى بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا جزيلاً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

ترجمة الاديب تقي الدين ابو بكر بن حجة الحموي منقولة من الضوء اللامع للحافظ السخاوي ومن كشف الظنون لملا جلبي

كان تقي الدين بن حجة امامًا عارفًا بفنون الادب متقدمًا فيها طويل النفس في النثر والنظم ومن تصانيفه * بروق الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم * وكشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام * وقهوة الانشاء في مجلدين ضخمين * والثمرات الشهيه من الفواكه الحمويه * وامان الخائفين من امة سيد المرسلين * وثمرات الاوراق في المحاضرات * ولهُ ديوان شعر بديع * وكتابه

المشهور خزانة الادب الذي جمع فيهِ من اللطائف ما يستلذ بهِ كل اديب ولعل مقتنيه يستغني عن غيره من الكتب الادبية ولو لم يكن فيهِ الاَّ جودة الشواهد لكل نوع من الانواع مع ما امتاز بهِ من الاستكثار من ايراد نوادر العصريين فان مصنفه مرتفع عن كلفة العارية وهذا وحده مقصود لكل حاذق كما نقل من خط العلامة ابن حجر ومات رحمه الله سنة ٨٣٧ ودفن بحماة سقى الله ضريحه صيب الرضوان

الحمد لله على نعمائه * والصلاة والسلام على خاتم رسله وانبيائه * وبعد فيقول الراجي من الله المدد القدسي * السيد محمد سليم بن السيد حسن الانسي * قد تم بعون باري الانام (كتاب كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام) للعالم العلامة الشيخ تقي الدين ابي بكر علي المعروف بابن حجة الحموي سقى الله ضريحه صيب الرضوان وكان تمام طبعه الفائق في (المطبعة الانسية) في مدينة بيروت المحمية * في اواخر شهر محرم الحرام سنة الف وثلاثمائة واثنتى عشرة من هجرة سيد الانام عليهِ وعلى جميع الانبياء افضل الصلاة والسلام

محمد سليم الانسي

مدير المطبعة الانسية في بيروت